إطلالة على بعض المظاهر الاجتماعية بالمدينة النبوية في العصر العثماني من خلال بعض كتب الرحلات

د. عواطف بنت محمد بن يوسف نواب

المقدمة

مرت المدينة المنورة بأدوار متعددة في تاريخها فكل دور له طابعه الاجتماعي المميز الذي صبغ بصبغة القوى أو الجهة التي كان لها اليد الطولى في السيطرة وفرض سلطانها عليها .

إن رصد الحياة الاجتماعية للمدينة المنورة من أصعب الأمور، خاصة للقرون السابقة؛ إذ لا يخفى على الباحثين انصراف المؤرخين إلى تسجيل أمور الحكم والسلطان والنوازل العظام وما صاحبها وأعقبها من حروب وفتن وثورات، وقلما يشيرون لحياة سكانها الاجتماعية؛ لذا فمن يتصدى لتتبع هذه الناحية وإبرازها يجد صعوبات جمة؛ لتناثرها بين السطور التي وزعت في كتب التاريخ العامة والخاصة، وكتب الجغرافيا، والتراجم، وكتب الرحلات؛ التي زخرت بهذا اللون وانفردت به في حين أغفله غيرهم إلا من ومضات خاطفة . فالرحالة تناولوا الجانب الاجتماعي وقارنوا بينه وبين ما يمارس في أقطارهم، وأثنوا على الحسن منه، وعابوا السيئ فيه .

ومن المؤكد أن نمط الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة يشبه إلى حد بعيد ما وجد بمكة المكرمة لإنفراد المدينتين بعوامل لا توجد إلا بهما فهما قطبي جذب لأفئدة المسلمين كافة قبل أبدانهم في رحلتهم السنوية للحج والزيارة .[1]

لقد تجلت الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة في مظاهر عدة في العصر العثماني، مثلت القلب النابض الذي ربط ساكنيها بقواعد من السلوكيات والعادات والتقاليد مارسوها بسماحة خلق وعطاء نابع من عفوية نفوسهم الطيبة؛ بل وأضافوا إليها ما ينسجم مع واقع المدينة المنورة الديني والتاريخي فكان الكثير من هذه العادات والتقاليد الاجتماعية مبنية على قاعدة الأحداث الإسلامية مدعمة بروايات تاريخية تؤيد صدقها وأساسها وإن انحرفوا في بعضها عن أساسها الصحيح.

إن مجتمع المدينة المنورة جُبل على تقبل الأجناس الأخرى والتعامل معها على علاتها، وهذه ميزة اشتركوا فيها مع أهل مكة المكرمة؛ فالكل يجتهد ويعمل ويعلم فانصهروا معهم انصهاراً رائعاً مدهشاً وتعايشوا معاً مستمدين هذه الوحدة من العقيدة الإسلامية التي طُبعت بأخلاقها وآدابها .

كتب عن الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة العديد من الباحثين في الآونة الأخيرة سواء ما كان منها مستقلاً ببحثٍ أو جزءاً منه . [٢] وسجلوا عادات وتقاليد درج عليها أهلها؛ ولكن ما هي أساسها ؟ وكيف تشكلت بهذه الصورة التي رُصدت عنهم؟. فهذا ما سنحاول- إن شاء الله تعالى- إيضاحه من خلال إبراز أهم تلك العادات والتقاليد، والتي منها ما يستند إلى أساس ديني بحكم أنها مدينة الرسول صل الله عليه وسلم وعاصمة الإسلام الأولى، ومنها ما يرتبط برتم الحياة بها. فمجتمعها لا شك خضع للتأثيرات الدينية والقوى السياسية التي حكمتها، إلى جانب موقعها الجغرافي والبيئي والمناخي، ومواردها الاقتصادية، وحجم أعداد المجاورين بها، وتنوع جنسياتهم، وغيرها من العوامل التي أثرت في حياة سكانها الاجتماعية، وأفرزت زخماً من السلوكيات منه الحسن ومنه السيئ.

وعليه سيكون اعتمادنا في تسجيل هذا الجانب على بعض كتب الرحالة الذين زاروا المدينة المنورة في أوقات مختلفة، وفي زمان ليس بالبعيد كثيراً عن فترة البحث. وسيتم- إن شاء الله تعالى- تقسيمه إلى : -

- العوامل التي أثرت في تشكيل الحياة الاجتماعية وتطورها .
- السمات الاجتماعية العامة وتلمس بداياتها .
- عادات دينية مرتبطة بالمسجد النبوي .
- عادات دينية مرتبطة بالمواقع والآثار الإسلامية .
- عادات اجتماعية يومية .
- عادات اجتماعية أسبوعية .

- عادات اجتماعية شهرية .
- عادات اجتماعية سنوية .
- الخاتمة .

العوامل التي أثرت في تشكيل الحياة الاجتماعية وتطورها : -

أولاً :- قول الله تعالى ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [٣] . فالمدينة المنورة تبوأت بالإيمان والهجرة فجُمعت لها الخصلتان، وهذا بلا شك أثر في المجتمع المدني؛ فالأنصار لا يحسدون، ويقنعون بالقليل، ويرضون به ويقدمون غيرهم على أنفسهم رغبة في الآخرة؛ فهذا حالهم في حياة النبي صل الله عليه وسلم وبعد وفاته، وما ذاك إلا لقوة يقينهم وإيمانهم؛ فهم يؤثرون على أنفسهم مع ما هم فيه من الخصاصة، وهي الحاجة التي تختل بها الحال[٤] .

ويبدو أن هذه الصفات لازمت الساكنين من غير الأنصار بعد ذلك، والذين أصبحوا قلة[٥]. فإلى جانب اختصاص الله- سبحانه وتعالى- بالثناء على الأنصار؛ خص النبي صل الله عليه وسلم المدينة المنورة بدعوته فقال: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد)[٦]. واستجاب الله تعالى لدعوته التي نحس استجابتها في نفوسنا ونلمسها في بعض كتب الرحالة الذين سجلوا مشاعرهم وهم يتحرقون شوقاً لرؤيتها[٧]؛ بل وينظمون القصائد عند إقبالهم عليها حباً لها[٨]. ومنهم من يوصي الذاهبين إليها في إنشاد قصائد نظموها لتنشد في الروضة الشريفة، وأحياناً تلصق هناك على أحد أساطينها[٩]؛ أو في أحد المساجد المشهورة الأخرى بالمدينة المنورة[١٠]. وللدلالة على تشوق القادمين كتابة العديد منهم لرحلاتهم من اللحظة التي عقدوا النية على التوجه فيها إلى الحجاز وإلى حين عودتهم لأوطانهم وتسميتها بأسماء تعبر عما بداخلها مثل: (ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة

الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة)،(الرحلة الحجازية)، (غاية المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام)، (مرآة الحرمين)، كل ذلك استجابة لدعوة النبي صل الله عليه وسلم. وقد بادل أهل المدينة المنورة القادمين عليهم حباً بحب، وشوقاً بشوق، وهذا ما لمسه الرحالة من طريقة استقبال أهل المدينة المنورة للحجيج، وتهنئتهم بسلامة الوصول، وتقديم هدايا ترحيبية من التمر لهم [١١].

ثانياً :- المسجد النبوي :

يقدم إلى الحجاز سنوياً ألوفٌ من المسلمين من مختلف أقطار الأرض؛ لأداء فريضة الحج الذي دعا إليه خليل الرحمن تنفيذاً لأمر الله- سبحانه وتعالى-: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فجٍ عميق﴾[١٢]. فهذه الجموع تفد إلى مكة المكرمة، وعاقدون العزم على موافاة المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي تنفيذاً لقوله صل الله عليه وسلم: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدي)[١٣].

ثالثاً :- المجاورون : -

شكلت زيارة المسجد النبوي المحطة الثانية لحجاج بيت الله الحرام فهم إما يؤمونه في الذهاب والإياب، أو في أحدهما، على حسب ظروف الركب المصاحبين له. ويحدث أن يجاور بعض الزائرين بالمدينة المنورة مدداً قد تطول وقد تقصر، إما لطلب العلم أو التجارة، وقد تنتهي أحياناً بالاستقرار الدائم بها والاندماج مع سكانها بالمصاهرة. فأصبح المستوطنون الجدد يشكلون جزءاً من سكانها، وساهموا في رواج الحياة بها بما قاموا به من أعمال تناسبهم وتناسب بيئة المدينة المنورة، من اشتغال بالزراعة، أو التجارة، أو وظائف الحرم النبوي، أو العمل في الوظائف العسكرية لحماية المدينة المنورة، والدفاع عنها، أو التفرغ لطلب العلم ونشره؛ اعتماداً على الأوقاف الموجودة بها من الأربطة والمدارس

وغيرها من المخصصات المالية التي ترد من الأقطار الإسلامية لدعم حياة سكانها[١٤].

رابعاً :- الأماكن الإسلامية الأولى :

مارس أهل المدينة المنورة، والقادمون إليها، عادات ارتبطت بالمواضع الإسلامية التي أُثر عن النبي صل الله عليه وسلم فعل أو قول شيء ما عندها؛ أو حدوث موقعة إسلامية بها، وتفاوت ما اعتادوا فعله بين الحسن والسيئ .

خامساً :- بيئة المدينة المنورة :

الماء بالمدينة المنورة:

يشرب أهلها من الآبار الكثيرة؛ ولكن اعتمادهم الرئيسي على ماء عين الأزرق التي تصل إلى داخل المدينة المنورة بواسطة مواسير. ومن لم تصله المياه بالمواسير يستعينون بالسقاءين الذين يحضرون الماء منها ومن غيرها من العيون الموجودة . كما انتشرت سُبل الماء الملحقة بكل خان و مدرسة والتي يجلب ماؤها من عين الأزرق . وشيدوا الأحواض ليسهل تناوله من المارة .

الزراعة :

بسبب نوعية التربة بها ملئت المدينة لمنورة بأشجار النخيل والكروم، وزرعوا القمح والشعير والرمان والبرتقال وغيرها من أشجار الفواكه ؛كما زرعوا جميع أنواع الخضروات؛ وأتقنوا زراعة مختلف الورود من الياسمين والنعناع والفل والريحان والفاغية والنسرين والزنبق والقرنفل والنرجس والبنفسج وغيرها من الزهور الفواحة؛ والتي كانوا يستخدمونها في جميع مناسباتهم الدينية والاجتماعية. ولشدة اعتنائهم بالورود ظهرت صناعة استخراج العطر منه الذي وصف برائحته الزكية. فالأراضي الزراعية مقسمة إلى بساتين لكل شخص بستان أو أكثر، والتي تسقى من الآبار المنتشرة والعيون وساهم المزارعون الذين استقروا بها من غير أهلها في امتلاك المزارع؛ بل وألفوا كتباً في الفلاحة. وبسبب البيئة

المناسبة للزراعة، وجدت عادات ارتبطت بهذا الجانب، ومنها عادة التنزه في الحدائق والبساتين [١٥]. وهي من العادات التي وجدت منذ العهد النبوي، فقد روى أبو خيثمة أنه كان له بستان يخرج إليه في أوقات الحر ؛وقد كان فيه قبل أن يلحق بالنبي صل الله عليه وسلم بتبوك[١٦].

التجارة :

وهي على نوعين :

تجارة من داخل الجزيرة العربية : - .

• مع أهل البادية يشترون منهم الجبن والسمن والعسل، ويبيعونهم الثياب والنحاس و التمر، والحبوب من القمح والشعير والفول والحمص والذرة والترمس والعدس والأرز التي يأتي أكثرها من مصر والشام والهند .

• ويشترون من نجد الإبل والغنم والخيل الجيدة .

• ومن الاحساء الحمير .

تجارة من خارج الجزيرة العربية : -

يشترون الحرير والأقمشة القطنية والصوفية والبسط من تركيا ومصر والهند .والسجاد من فارس، والعباءات من بغداد والبصرة، والنحاس من مصر. وقامت على التجارة عادة تأجير الدواب، إذ وجد وكلاء لأصحابها في جميع مدن الحجاز، بحيث يتكفلون بما عسى أن يصدر من الجمالين من غدر ومكر، ويسمى هذا الشخص (المخرج)[١٧] .

الأعمال والمهن :

يعيش أهل المدينة المنورة من المرتبات التي يتقاضونها من أوقاف أرصدت لهم أو يأخذونها نظير ما يقومون به من أعمال في المسجد النبوي، علاوة على ما يدفع لهم مقابل الإرشاد إلى المساجد المأثورة والمواضع الإسلامية الأولى . كما يتكسبون من حراسة البساتين والحقول ورعي المواشي والخدمة في المنازل [١٨].

الأسواق :-

تركزت أسواق المدينة المنورة في باب السلام الذي يمتد من باب المسجد النبوي إلى باب المصري؛ وفيه تباع الأشياء الثمينة . ويليه سوق البلاط وسوق الساحة وسوق المناخة الذي اعتادوا فيه بيع الحبوب واللحم والخضروات والفواكه . أما الأشياء القديمة فاعتادوا بيعها في سوق يسمى الحراج [١٩]. ودأب التجار الذين يلجئون أحياناً أثناء عرض بضائعهم التي تصل المدينة المنورة من أقطار الأرض على الترويج لها بأحاديث مكذوبة وقل من يعرف ذلك من المشترين [٢٠].

السمات الاجتماعية العامة :-

التعليم : -

اعتاد أهل المدينة المنورة على تعليم أبنائهم في مؤخرة المسجد النبوي، ووجد لذلك وظيفة معلم الصبيان لتعليمهم القرآن الكريم، والقراءة والكتابة، والحساب، ويصرف لهم رواتب من الدولة لقاء عملهم هذا .

الزواج :

اتسمت احتفالات الزواج في العهدين النبوي والراشدي بالبساطة وعدم المغالاة، فكان المهر قليلاً لا يتجاوز نواة من ذهب؛ وربما اقتصر على خاتمٍ من حديد، أو شيءٍ من القرآن الكريم يعلمه الزوج لزوجته[٢١] .

وبدأت المهور بالزيادة في العهد الراشدي بسبب تدفق الأموال مع الفتوحات الإسلامية، مما حدا بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه التحذير من زيادتها عن أربعمائة درهم في خطبةٍ له؛ فالمهور لم يكن لها حدّ معين . فعارضته امرأةٌ قائلةً له: (ليس ذلك إليك)[٢٢]. مستندةً لقوله تعالى ﴿ وءاتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾ [٢٣].

وفي العهد الأموي تفاوتت المهور بين المنخفضة مثل المهر الذي دُفع لابنة سعيد بن المسيب الذي كان درهمين أو ثلاثة [٢٤] . وبين ما لا يعرف قدره لكثرته

كالمهر الذي دفعه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأرينب بنت إسحاق[٢٥] . و لا يستبعد أن يكون العهد العباسي لا يختلف عن الأموي في مقدار المهور لندرة المصادر التي تحدثت عنها .

الولائم ومظاهر الفرح في الأعراس :

أقيمت الأعراس على عهد النبي صل الله عليه وسلم، فقد روي أنه حضر عرس الربيع بنت معوذ[٢٦] . وكان في عُرسها جواري يغنين ويضربن بالدفوف، ولم ينكر عليهن النبي صل الله عليه وسلم ذلك[٢٧] . فعدم إنكاره يشير إلى مشروعية الأمر الذي أيده، فقد حث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما حضرت عُرساً واشتركت في زف العروس؛ فسألها النبي صل الله عليه وسلم بعد عودتها (ما كان معكم لهو ؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو) . فأهدت إليهم امرأةً مغنيةً بالمدينة تسمى أرنب لتقيم لهم العُرس[٢٨] استحساناً لوجود عادة الغناء في الأعراس وتثبيتاً لعادات أهل المدينة من الأنصار والتي حرص صل الله عليه وسلم إبقاء الحسن منها .

وكانت الولائم لا تتعدى الشاة لقوله صل الله عليه وسلم لعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه عندما تزوج (أولم ولو بشاة)[٢٩] . بينما تراوحت ولائم النبي صل الله عليه وسلم على زوجاته ما بين الخبز والتمر والأقط والسمن، وبين مدين من الشعير [٣٠].

واعتادوا دفع هدايا للعريس فقد أُهدي للنبي صل الله عليه وسلم عند زواجه بأم المؤمنين زينب بنت جحش- رضي الله عنها- تمر وسمن وأقط[٣١] . ونلحظ أن ما يُهدى الغرض منه الإعانة على تكاليف العُرس؛ ومن شدة بساطة الأعراس قيام العروس بخدمة المدعوين [٣٢] .

وأعتاد الجميع المسارعة في إجابة دعوة العُرس نساءً ورجالاً وأطفالاً[٣٣].

وأما صيغ التهنئة فكان منها (على الخير والبركة وعلى خير طائر. وبارك الله

لك)[٣٤].

وتخصصت بعض النسوة في تهيئة العروس لزوجها؛ فقد روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قيام أمها وبعض النسوة بتجهيزها عند زواجها بالنبي صل الله عليه وسلم .

واستمرت عادات الزواج ببساطتها إلى العهد الأموي وإن زادت فترة تجهيز العروس إلى ثلاثة أيام، وبعدها يقام العُرس[٣٥] .وبتوالي الأعوام تعقدت مراسم الزواج وزادت تكاليفها .

ومع مرور السنين وتدفق الوافدين المجاورين الذين حملوا معهم عاداتهم إليها؛ ولأن الجانب الاجتماعي من أبطأ الجوانب تغيراً في حياة الناس نجد أنه عندما يمارس فعلٌ ما ويلاقي الاستحسان بين الناس يتبناه الجميع ويضاف إلى جملة ما اعتادوه. وأحياناً يجبر المجتمع بالكامل على الرضوخ لفعله بسبب تسلط فئة ما أو قوى حاكمة على التقيد بما فرض عليه.[٣٦] ومثال ذلك عندما تسلط الشيعة من آل سنان[٣٧] . على مقاليد الأمر بالمدينة المنورة فمنعوا إتمام عقود الأنكحة لأهل السنة إلا بعد أخذ موافقة كبير آل سنان، وهي مشروطة بدفع جعل مقابلها؛ ومن ثم يصدر أمراً مكتوباً إلى القائم بأمر أهل السنة ليتولى ذلك . واستمر هذا الوضع فترةً طويلةً إلى أن كثر المجاورون من أهل السنة بالمدينة المنورة فسألوا الملك الناصر محمد بن قلاوون[٣٨] تعيين حاكمٍ سنيٍ يتولى أمورهم فكان ذلك؛ وبعدها أخذت الأمور في التغير وعاد لأهل السنة مكانتهم ووضعهم وتوارى تسلط الشيعة في الظل[٣٩] .

ولشيوع إقامة حفلات الأعراس عموماً ندرت الكتابة عنها لأن الزواج شرع الله تعالى ولابد أن يتم . وعندما تطرق الرحالة إلى وصف مراسم الأعراس في الفترات التي جاوروا فيها؛ وجد بعض الاختلافات إما بالنقص أو الزيادة أو أمورٍ لم يعد يعمل بها الآن للتقدم الحضاري، وإن بقى بعض رموزها – مثل حمل الشموع

إذ كان الغرض منه الإضاءة – فظهرت الحاجة للمحافظة على تدوين تاريخ تراثنا الاجتماعي الإسلامي– وخاصة في المدينة المنورة – والذي بدأ بمقدم النبي صل الله عليه وسلم إليها . وأغلب الظن أن عدد سكان المدينة المنورة إلى نهاية القرن الحادي عشر الهجري لم يتجاوز الأربعة عشر ألفاً[٤٠]، ويقلون أو يكثرون وفقاً للظروف التي مرت بها فقد قدر سالدلير عددهم بثمانية آلاف نسمة عام (١٢٣٥ هـ / ١٨١٩ م) . وقدرهم بيرتون بستة عشر ألف نسمة[٤١] . وهذا التعداد يقرب من تعداد سكان مكة المكرمة في القرن العاشر الهجري [٤٢] .

ومنذ أن بدأت أولى الإشارات لكيفية إتمام الزواج بين الأسر في العهد العثماني، نجد أن لها خطوات ومراحل أولها :

الخطبة:

تبدأ باختيار العروس المناسبة من قبل النساء اللاتي يذهبن إلى منزل أهلها بعد ترتيب موعد هذه الزيارة؛ مبديات رغبتهن في الخطبة، وبعدها يتحرى والد العروس عن طالب الزواج وعائلته إن كانوا غير معروفين . فإن وجده مناسباً، يتقدم جمعٌ من رجالات أهل العريس للخطبة، وتأكيد الرغبة في إتمام الزواج، وهذه المقابلة تقرأ فيها الفاتحة على نية التوفيق وتمام الأمر[٤٣] .

عقد النكاح :

الخطوة الثانية يحدد عقد القران ويكون مكانه غالباً في المسجد النبوي . وقد حدثنا العياشي عن مراسم عقد نكاحٍ حضره فقال : جلس أرباب المناصب والعلماء والخطباء وأكابر الناس صفين متقابلين في الساحة المحصورة بين المنبر الشريف والحجرة الشريفة، صفٌ مستقبلٌ القبلة، وصفٌ مسندٌ ظهره إلى جدار القبلة؛ وشرع كبير الخطباء الذي جلس بجواره والدا الابن والابنة في خطبة جهوريةٍ أطال وأجاد في الثناء على الله تعالى وعلى رسوله صل الله عليه وسلم، ثم تلاه بذكر المتعاقدين وأطال الثناء عليهما إلى أن ذكر العقد، وأشار إليهما ورضيا بذلك . ووضعت بين

الصفين أطباق مليئة بالريحان واللوز والسكر ووزعت على الحاضرين، وعقب ذلك قام أحد المنشدين وأنشد قصيدتين في مدح النبي صل الله عليه وسلم انصرف بعدها الحاضرون بعد تهنئة المتعاقدين وما وصفه العياشي نموذجاً لعقود الزواج لذوي الوجاهة والرئاسة من الأمراء والتجار وأصحاب المناصب، أما غيرهم من العامة فعلى حسب مقدرتهم المادية [٤٤].

ويشترط لمن يلقي الخطبة أن يكون من العلماء المتمكنين في الشريعة؛ وتنظم هذه الخطبة لهذه المناسبة ويذكر فيها محامد العريس وصفاته؛ وتطور الأمر بأن يكون هناك خطيبٌ آخر يسمى المجيب من طرف العروس يذكر محاسن أهلها وشيمها، ويشير فيها إلى اسم العريس ويرمز لاسم العروس وأمها [٤٥] .

المهر :

وهو الخطوة الثالثة و تفاوت مقداره بين الأسر المدنية والذي كان يقبض كاملاً أو يؤخر بعضه في الأسر الفقيرة؛ ويقدم في صندوقٍ من الفضة كتب مقداره في ورقة بالإضافة إلى قيمة الجارية التي يشتريها والد العريس لتخدم العروس. وكان المهر لا يزيد على مائة جنيه وقيمة الجارية من ٣٠-٥٠ جنيهاً عثماني. ويقدم مع المهر ملابس حريرية للزوجة مشغولة بالفضة والتل تصل قيمتها من ٥٠- ١٠٠ جنيهاً عثماني. وهذا في المهور الكبيرة وأحياناً يكون المهر ١٠ أكياس وجاريتين وعبدين[٤٦]. ولا يتم انتقال العروس لمنزل زوجها وإتمام الزواج إلا بعد سنة من حفلة تسليم المهر؛ حتى يتمكن والد الزوجة من إعداد وتجهيز أثاث المنزل، وهم يسرفون فيه كثيراً، خاصة في الأسر المقتدرة[٤٧].

الزفاف :

آخر خطوات العُرس ويتم الاستعداد لها قبل ذلك بأسبوع من ليلة الزفاف فتقام وليمة في منزل الزوج احتفالاً بمقدم العروس ويُدعى لها أقارب العروسين ومعارفهما ويستكثرون من الأشخاص الناقلين للأثاث بحيث يحمل كل شخصٍ قطعة

وإن صغرت، ويكون في مقدمة الحمالين حامل المصحف الشريف . ويتحمل الزوج أجرة الحمالين، وغالباً ما يتمّ سكن الزوجين في منزل والد الزوج .

واعتاد المدنيون أن تكون ليلة الزفاف إما ليلة الاثنين أو ليلة الجمعة[٤٨] – لما لليلتين من فضل فيما يبدو – .وقد وصف العياشي ليلة الدخول فقال: (إذا كانت ليلة الدخول حضر الزوج ومعه عددٌ كبير من أصحابه وأقاربه، حاملين معهم الشموع إلى باب المسجد بعد العشاء، فيدخل ويُسلم على النبي صل الله عليه وسلم ويدعو، ثم يخرج ويذهب بزفةٍ واحتفال إلى بيت أهل الزوجة... وعندما يصبح الصباح يذهب الزوج إلى بيته ويتولى إعداد الوليمة لإطعام الحاضرين من المهنئين، وفي الليلة المقبلة تحضر الزوجة من دار أهلها إلى دار زوجها)[٤٩] داخل عربة، وعند وصولها إلى المنزل تقوم النساء بزفها إلى داخل المنزل مع زوجها وهن يحملن الشموع[٥٠]. وعند شروق الشمس يذهب العريس إلى منزل العروس للغداء ثم يعود إلى عروسه ويبقى بالمنزل أسبوعاً لا يخرج إلا إلى الصلاة بالمسجد أو لأمرٍ طارئ. كما يحظر على الزوجة الخروج من منزل الزوجية إلا بعد مرور سنة .

واعتاد المدنيون إقامة ولائم للرجال والنساء ليلة الزفاف، وليلتين قبلها، وليلة بعدها يستعيرون فيها منازل جيرانهم لاستيعاب المدعوين . وهم يسرفون في ذلك كما أسرفوا في الجهاز والهدايا[٥١] .

ولكثرة جنسيات المجاورين تعددت أنواع ملابس العروس بحيث يسمى كل نوعٍ باسم القطر الذي أخذ منه . وهذه الملابس لقيت القبول والرضا . ولغلاء أسعارها تستأجر أو تعار ممن يملكها أو يطلب الاستعانة بإدارة الحرم النبوي التي كان لديها أوقاف لهذا الأمر[٥٢]، مما يعني أن المسجد النبوي قدم خدمات تعين أهلها في مناسباتهم، بل حياتهم عموماً . ولاختلاف الجنسيات بالمدينة المنورة تزوجوا من التركيات والتونسيات كما صاهروا البدو. ووجد عندهم عادة التسري بالجاريات[٥٣].

الولادة :

اعتاد والد المولود المسارعة يوم مولده إلى ذبح العقيقة وهي من السنة[٥٤]، وذوي اليسار يكررونها في اليوم السابع، وفيه يسمى المولود، ويتبع ذلك أمور اعتادها المدنيون لا تستند للشريعة الإسلامية؛ وإنما هي عادات استحسنوها، مارسها الوافدون ولقيت القبول، منها وضعهم على المولود مقادير كبيرة من الحلبة، وبعد تسميته يدق في الهون عدة مرات إيذاناً بالتسمية وتزغرد النساء عقبها . وبعد أن يتم المولود أربعين يوماً يزين بالحلي الكثيرة وتذهب به أمه وقريباته ومعهم القابلة إلى المسجد النبوي قبل المغرب؛ وبعد الانتهاء من الصلاة يأتي أحد الأغوات فيأخذه ويدخله الحجرة النبوية ويضعه تحت الستارة التي عند رأس النبي صل الله عليه وسلم، ويكون معه عيش لت (عجن) بالسمن ويبقى هناك لبضع دقائق ويعود لأمه ويوزع العيش تبركاً بهذه المناسبة . ويعطى الأغا نظير ما قام به بناً وسكراً وبعض النقود [٥٥] . كما اعتاد بعضهم على وضع أطفالهم عند المراضع في البادية ومنهم من يكبر ويتشبه بهم في زيهم وأقوالهم وأفعالهم [٥٦] .

واعتادوا على ختان مواليدهم الذكور في سنٍ صغيرةٍ ويقوم بهذه المهمة رجالٌ ذوو خبرة، ويتم بعدها الاحتفال بهذه المناسبة ويدعى لها الأقرباء وهذا الاحتفال يكون بحسب الوضع المادي لرب الأسرة[٥٧] .

الوفاة :

عند حدوث الوفاة لا ترفع الأصوات بالبكاء لما روي عن النبي صل الله عليه وسلم من كراهية ذلك[٥٨]. ثم يذهب بالمتوفى للصلاة عليه بالمسجد النبوي – ما عدا فئة النخاولة[٥٩] – وبعدها يذهبون به إلى مقابر البقيع لمواراته الثرى، وعند الانتهاء يقف أهله هناك يستغفرون له ثم يعودون إلى منزله فيقيمون له العزاء ويتقبلونه لمدة ثلاث ليالٍ، يقرأون فيها القرآن الكريم ويهدون ثوابه لروح الميت. وهم

يسرفون في المأتم مثل إسرافهم في الأفراح يطعمون فيه المعزين الثلاثة أيام الأولى من الوفاة [٦٠] .

- وإذا ترك المتوفى أولاداً صغاراً اعتادوا الختم على منزله صوناً لميراث الصغار. وهو يشبه ما وجد بمكة المكرمة. وربما تكون الزوجة هي الوصية بناءً على وصية زوجها فتكون هي القائمة؛ وتنفذ وصية الميت طبقاً للشرع. وهنا تبرز التنظيمات والعادات ويتصدر شخص المتولي لتقسيم الميراث وهو القسام العسكري؛ وعمله هذا يكون نظير جزءٍ من قيمة التركة، وإذا حدث خلافٌ بين الورثة يرجع فيه إلى قاضي المدينة المنورة. ولا شك أنها عادة مأخوذة من قوله- تعالى- ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا﴾ [٦١].

عاداتهم في الجنائز :

اعتادوا على دفن موتاهم في مقابر البقيع، التي لها أربعة أبواب؛ ثلاثة غربية أحدها مخصص لدخول جنائز فئة النخاولة؛ (وهم من ذرية الأعاجم امتهنوا الزراعة وهم روافض يجتمعون بالأعاجم في موسم الحج ويؤجرون لهم دورهم ودوابهم)، وجنائزهم لا يصلى عليها في المسجد النبوي . أما الباب الثاني الغربي المقابل لباب الجمعة تدخل منه جنائز الأهالي والمجاورين والحجاج والزوار وهو مفتوحٌ على الدوام . بينما الباب الثالث الغربي ويقع في الركن من الجهة الشامية عند قبور الشهداء لا يفتح إلا في زمن وقوع الموت الزريع .

والجدير بالذكر أن أهل المدينة المنورة ارتبطت حياتهم كلها بالمسجد النبوي ولا يماثلهم في ذلك إلا أهل مكة المكرمة وارتباطهم بالمسجد الحرام[٦٢]. فأهل المدينة المنورة عندما يولدون يذهب بهم إلى المسجد النبوي تبركاً ويتعلمون فيه صغاراً في مؤخرته، وكباراً في مقدمته، ويعقد نكاحهم فيه . ووظائفهم التي

يسترزقون منها محجوزة سلفاً فيه، وكذلك احتفالاتهم تقام داخله وعندما يموتون يصلى عليهم داخله .

صفات أهل المدينة المنورة العامة :

إن من زار المدينة النبوية من الرحالة أثنوا على حُسن صفات أهلها وجمال أخلاقهم خاصة عند استقبالهم للقادمين سنوياً من الحجاج؛ بينما نجد أن ما أستحسنه الرحالة المسلمون كان مثار سخرية الرحالة الإنجليزي بيرتون[٦٣] . وأغلب سكانها يكسبون رزقهم من وراء وظائفهم في الحرم النبوي، وتعاطي التجارة والزراعة وما يأتيهم من مخصصات ومرتبات سنوية من خزينة الدولة العثمانية وقبلها المملوكية والدول الإسلامية الأخرى وهدايا ونذور أغنياء المسلمين[٦٤] .وبسبب الأمن المعيشي الذي نعمت فيه المدينة المنورة في فترات هدوئها المتقطعة، وجد بها الرقي الأدبي والمادي فزُرعت الحدائق والبساتين واستصلحت الأراضي وبنيت القصور الدالة على رغد العيش. وهذا الأمر عُرف عن المدينة المنورة منذ القرن الأول الهجري[٦٥]. فتقلبوا في الرفاهية والتوسع في المعيشة . وقد لفت نظر الرحالة تنظيم المدينة المنورة وترتيبها. فشوارعها وطرقاتها وأزقتها رصفت بالحجر المنحوت كما وصفت بعدم الاستواء الضيق الذي ساعد على ترطيب وتلطيف الحرارة. وقد اعتادوا على رشها بالماء دائماً. أما أرصفتها فبيضاء ونظيفة جداً[٦٦].

عرف أهل المدينة المنورة نظام الأحواش التي يجتمع بداخلها مجموعة من المنازل، وكان الداعي لها أمني؛ وعادة تجمع المنازل داخل الأحواش أدت إلى الألفة وزيادة أواصر القربى[٦٧].

اشتهرت المدينة المنورة بكثرة القصور والبساتين والحدائق الغناء، واعتادوا أن تكون منازلهم ذات طابقين أو ثلاثة وقلما تكون ذات طابق واحدٍ، وقد بنيت أكثرها بالحجارة المجلوبة من المحاجر القريبة . واتصفت منازلها بعدم الاستواء والضيق وصغر الحجرات، وأغلب المنازل لا توجد بها رحبةٌ. وقد خصصوا

الطبقات الأرضيةِ لشحن البضائع التجارية . أما منازل الموسرين فكانت ضخمةً متينةً ذات شكل جميل بنيت واجهاتها بالآجر الأسود، وزينت بالرواشين المصنوعة من الخشب المخروط. وأبوابها مرتفعةٌ عن الأرض؛ ويجلب الخشب المستعمل في البناء من مصر عن طريق السويس إلى ينبع البحر ومن هناك ينقل على الجمال إلى المدينة المنورة . وهم يغالون كثيراً في التأنق والبناء والزخرفة[٦٨] . ومن عادة أهل المدينة المنورة تشغيل السواقي لرفع الماء من الآبار والتي يسمعها القادمون ويستبشرون بقرب دخولهم إليها، وانتشار أريج الزهور المزروعة بكثرة بها [٦٩].

وإذا انتقلنا إلى ساكني المدينة المنورة نجد أن أكثرهم وصف بالسمرة الضاربة إلى السواد. وفيهم ذو البشرة السمراء الخالصة أو البياض وأجسامهم نحيفة وحواشيهم رقيقة .

وعرف عن أهل المدينة المنورة حرصهم على اقتناء الملابس الفاخرة ولبسها والتزين بزي الأعاجم في مأكلهم ومشربهم، وهذا الأمر كما ذكر العياشي اقتصر على كبراء أهلها . أما الفقراء وغالب المجاورين ظلوا على حالهم من الفقر[٧٠].

كان أغلب الوافدين المجاورين من الموسرين الذين قدموا بأموالهم فاشتروا المنازل والبساتين واستصلحوها لتأمين عيشهم بها . ولكثرة المجاورين وتعدد أجناسهم أخذوا بكل طرفٍ من عاداتهم؛ فأهل المدينة المنورة عرف عنهم الحلم واللين والمسالمة . فأدى هذا إلى تقبل الآخر والتطبع بعاداته مثل تخضيب جميع البدن بالحناء والتشبه بلباس البدو وأقوالهم وأفعالهم[٧١] .

نساء ورجال أهل المدينة المنورة :

وصف العياشي النساء بالمبالغة في التستر الظاهر بحيث لا يظهر منهن شيء حتى أطرافهن يلبسنها الخفاف السود، ويتبرقعن ويسدلن من أُزرهن ما يجعلنهن في غاية الستر إلا أنهن يكثرن من الطيب عند الخروج فتنتشر رائحة

طيبهن لمسافات. أما الرحالة جلبي فذكر أنهن يرتدين الملابس الحريرية الزرقاء والشباشب ويتدثرن بالإزار الأسود، ويضعن على رؤوسهن نقاباً حريراً تنحصر ألوانه فيما بين الأخضر والأحمر والأصفر .

وذكر العياشي أن لنساء المدينة المنورة عادة تسمى (الخشخشة) وفسر ذلك بأنه ما تشتري به المرأة ما تشتهيه من الأزهار والطيب، وربما بلغ ما تأخذه في كل يوم ريالاً، كما اعتادت النساء مباشرة البيع والشراء بأنفسهن وخاصة في أيام المواسم .إذ يبتعن ما أحببن بأنفسهن.

بينما الرجال يضعون على رؤوسهم عرقية (طاقية) شامية وفوقها الشال الكشميري أو العمامة البيضاء . والجميع رجالاً ونساءً يكتحلون[٧٢] .

ومن المظاهر الاجتماعية العامة :

وجود الجواري للخدمة في المنازل بحيث انحصر دور ربة المنزل في الإدارة والتنظيم . ومنها أيضاً منام السكان على أسطح المنازل في الصيف . وهم في هذه مثل أهل مكة المكرمة. ووجد من السكان من زهد في الدنيا وأعرض عنها. واعتاد هؤلاء على لبس الخشن والعمامة الخشنة والعباءة الصوف[٧٣] .

ومن عاداتهم الحسنة :

• الإجارة :

درجوا على أنه إذا ضرب شخصٌ شخصاً آخراً وكاد أن يقضي عليه؛ يلجأ الضارب إلى أحد الأعيان قائلاً له :(أنا في وجهك) أي في حماك وكنفك . فيأخذ هذا من فوره جمعاً من أصحابه وأقربائه ويذهبون إلى أسرة المضروب، فأيُ شخصٍ صادفوه من أهله ألحوا عليه حتى يتكفل لهم بتأجيل الأخذ بالثأر سنة، ومتى ما تكفل بذلك أجازه قومه وبعد انقضاء السنة إما يتم الصلح على مال يدفعه أهله؛ وقد يتسامحون . وإما يتم القصاص وهو قليل الحدوث . لأنه بعد مرور عام على الحادثة يخف أثرها وحينها يجتهد أولياء الجاني في استرضاء أهل المجني عليه[٧٤] .

• الإعارة وقضاء الحوائج:

وتخصص بعضٌ من أهل المدينة المنورة في إعارة كل ما ينفع الناس من كتبٍ ونحاسٍ وفراشٍ وغيرها . وليس هذا فحسب بل من استطاع خدمة الناس وقضاء حوائجهم يبادر لفعله؛ وخاصة قضاء حوائج النساء والأرامل اللاتي يعشن في الأربطة والبيوت ولا عائل لهن . وأعتاد أشخاصٌ على تقديم القروض لمن يحتاجها وردها وقت الميسرة[٧٥] .

• توزيع الطعام على المحتاجين ودور الضيافة:

اعتاد الفقراء والمساكين على أخذ طعامهم وشرابهم المكون من الحساء ولحم الضأن والأرز والذرة والعاشوراء من مدرسة الخاصكية، وربما يكون للأغنياء نصيبٌ أيضاً . كما وجد الكثير من دور الضيافة لعابري السبيل وكل ذلك يصرف عليه من أوقاف أوقفت لهذا الغرض بمصر[٧٦] .

• التنزه في البساتين والحدائق :

اعتاد أهل المدينة المنورة على التنزه في الحدائق والبساتين الموجودة في قباء؛ إذ تعتبر منتجع أهلها لما وجد بها من القصور والمنازل التي حرصوا على التأنق في بنائها .فقد مال أهل المدينة المنورة للهو كثيراً، فخصصوا مجالساً لها أتقن، بعض مرتاديها العزف على الناي والعود والغناء، كما برعوا في لعبة الشطرنج. ولأن مجتمع المدينة المنورة ليس مجتمعاً مثالياً وهو مثل أي مجتمع آخر. وجد في بعض مجالس اللهو تعاطي المحظورات كشرب الخمر .

• عادة النساء في بستان الخضرتين :

وجد بقباء بستان يسمى بستان الخضرتين يقال : أن مياهه عجيبة ولا يدخله إلا النساء لما لمياهه من خصائص فمثلاً لو كانت ولادة إحدى النساء متعسرة وشربت منه تتيسر ولادتها . وعندما تشرب النساء من هذا الماء وقت حيضها فإنه ينقطع وتطهر. وجميع نساء المدينة المنورة يعرفن هذا البستان ويغتسلن في مياهه

لدرجة أن الأهالي اعتادوا على تسميته (بستان النساء)، لأنه لا يدخله غيرهن[٧٧].

• حلول الضائقات المالية :

اعتاد أهل المدينة المنورة إذا حلت بهم ضائقة مالية التوجه إلى عواصم الدول الإسلامية في تركيا والهند والمغرب واليمن والعودة منها محملين بالأموال وقضاء حوائجهم ونادراً ما يعودون خالين الوفاض . فهم يقابلون هناك بالاحترام لا لشيء إلا لأنهم من سكان المدينة المنورة والقائمين على حفظ مسجده صل الله عليه وسلم .وهو ما كان يحدث لأهل مكة المكرمة أيضاً عندما يسافرون بحثاً عن الرزق[٧٨]. وخاصة عندما يتسلط عليهم الأعراب القاطنين حول المدينة النبوية؛ بسد مسالكها وصد القاصدين عنها؛ بل وتدمير بساتينها كما وصف البرزنجي حالها في القرن الثاني عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي[٧٩]

• نفي المشاغبين خارج المدينة المنورة:

كثيراً ما تقع المشاحنات بين الأفراد التي تؤدي إلى اضطراب الأمور، وعندما يعرف المسببون؛ ينفون على وادي الصفراء تسكيناً للفتن .

• منادون للصلاة في طرقات المدينة المنورة :

لاتساع المدينة المنورة ولحرص أهلها على أداء الصلوات بالمسجد النبوي اعتادوا على إطلاق المنادين للصلاة في شوارعها وأسواقها؛ وهي من الوظائف التي يتقاضى شاغلوها مرتبات . إذ يبدو أن الآذان من مآذن المسجد النبوي لا تكفي لإسماع الجميع. وهذا شبيه ما يحدث بمكة المكرمة من إقامة المنائر فوق رؤوس الجبال للمناداة للصلاة .

• السكن في البوادي وقت المحن :

عندما تلم بالمدينة المنورة المحن والفتن – وهي كثيراً ما تحدث –؛ يسارع معظم سكانها إلى الانتقال لسكن البوادي حفاظاً على أرواحهم .فالمدينة المنورة دار حولها سور استصلحت حوله البساتين والحدائق التي لا يتركها ملاكها صيفاً أو

شتاءً؛ إلا القلة لشدة برد الشتاء فينتقلون للسكن في منازلهم داخل المدينة المنورة ويكون انتقالهم أيضاً زمن الفتن التي تقع بين الأعراب والعساكر فيبقى البعض في حدائقهم حرساً لها وينزلون إلى داخل المدينة المنورة خوفاً على أموالهم وأهاليهم وأنفسهم .

• الاشتغال بأكثر من عمل :

لرغبة أهل المدينة المنورة في العيش برفاهية تعودوا على الاشتغال بجانب وظائفهم بالمسجد النبوي أو القلعة العمل بالتجارة، أو ممارسة إحدى المهن من خياطةٍ أو حلاقةٍ وغيرها . كما وجد بالمدينة المنورة بعد أن كثر وجود الأتراك مترجمين اعتادوا الترجمة بين الشاكين والقاضي التركي للتفاهم وشرح مسألتهم وتسهيل أمورهم [٨٠].

عادات دينية مرتبطة بالمسجد النبوي :

عرف المدنيون مثلهم مثل المكيين عادة تعدد الأئمة وهي عادة لم توجد إلا بهاتين المدينتين المقدستين، فللحرم النبوي خمسة عشر إماماً، منهم الحنفيون، والشافعيون . وللمسجد واحد وعشرون خطيباً، منهم أثنا عشر خطيباً حنفيون وثمانية شافعيون، وخطيب واحد مالكي . وهؤلاء الأئمة يصلون بالنوبة في كل يوم إمام واحد من الحنفية، وإمام من الشافعية . فيبتدئون من الظهر إلى الصبح. والإمام الشافعي يصلي أولاً ثم الإمام الحنفي؛ إلا في المغرب فيتقدم الإمام الحنفي؛ لكراهية تأخير المغرب عنده. ويصلي الإمام الحنفي يوماً في محراب النبي صل الله عليه وسلم الذي في الروضة الشريفة، فيصلي الإمام الشافعي ذلك اليوم في المحراب الذي خلف المنبر محراب السلطان سليمان . ثم في ثاني يوم يصلي الإمام الشافعي كذلك ويصلي الحنفي ما صلى هو أول يوم.

شهر رمضان :

• الإفطار في رمضان بالمسجد النبوي :

دأبوا في عصر كل يومٍ من أيام رمضان على الذهاب إلى المزارع والبساتين التي يملكونها، وربما يتدارسون هناك. أو يذهبون لزيارة المواقع الإسلامية.

تدل عادات أهل المدينة المنورة في شهر رمضان على حرصهم على التواد والتراحم والتكافل الاجتماعي. وأبرز مثال لذلك جلوسهم بمختلف طبقاتهم لا فرق بين غني وفقير في المسجد النبوي لانتظار آذان المغرب، وقد وضعت بينهم دوارق الماء المسبلة من قبل أهل الخير

والصلاح؛ وتعودوا على إحضار إفطارهم من منازلهم فكلُ شخصٍ يكون أمامه طبقٌ مغطى يحتوي على الجبن والرطب والعسل والخبز والزيتون والفطير والمربيات وما شابه ذلك؛ أما الفقراء فيكون معهم طبقٌ من التمر؛ ولكنهم يفطرون أيضاً بما يقدم لهم من الجالسين فتكتمل صورة التكافل والمساواة بينهم .

وإذا ارتفع آذان المغرب أفطر الجميع بما معهم وقاموا للصلاة؛ فيصلي الإمام الحنفي أولاً في محراب النبي صل الله عليه وسلم؛ ثم تقام الصلاة أيضاً للإمام الشافعي في المحراب السليماني، ويصلي الإمام الحنفي سنة المغرب . فإذا فرغ يدعون كلهم سوياً دعاءً واحداً، وبعدها يعودون إلى منازلهم لتناول الإفطار الكامل فيه ويحرصون على اصطحاب من يجدوه في طريقهم ليفطر معهم . وبعد الانتهاء من الإفطار وضيافة من أتى معهم التى تنتهي بتقديم الطيب والبخور، يعودون مرة أخرى إلى المسجد النبوي لصلاة العشاء والتراويح التي تقام بالكثير من الأئمة الذين يزيدون على الخمسين. فقد اعتادوا أن يكون لكل كبيرٍ وأتباعه إمام . وأيضاً هناك إمامٌ للنساء خاصٌ بهن .

وهؤلاء الأئمة يكونون من الشباب الذين أتموا حفظ القرآن الكريم – وفي هذا

تشجيعٌ لهم- أو من علمائهم، وقد نصبت أربعة عشر شمعداناً ذهبياً وزن الواحد منها سبع أقات . وأمام كل إمام شمعدانان كبيران في كل شمعدان شمعتان تصرف من خزينة الدولة؛ ويتقاضى هؤلاء الأئمة رواتباً من الدولة، يأخذونها آخر رمضان أجراً لهم على إمامتهم.

وأهل المدينة المنورة في أمر العبادات وخاصة في رمضان يبذلون جهدهم؛ وهم في هذا الأمر مثل أهل مكة المكرمة في رمضان . فهم يصلون بعد صلاة العشاء عشرون ركعة، يخرجون بعدها إلى منازلهم، أو لقضاء حوائجهم، وتقفل أبواب المسجد النبوي ولا تفتح إلا بعد مضي ثلاث أو أربع ساعات، يعود بعدها معظم المصلين لأداء بقية التراويح وعددها ست عشرة ركعة يسمونها(الستة عشرية) فيكون مجمل ما يصلونه ستة وثلاثون ركعة . ويوقدون القناديل أثنائها . وبعد الفراغ منها يعودون إلى منازلهم، وتقفل أبواب المسجد النبوي، ولا تفتح إلا آذان الفجر. حيث يهرعون لأدائها جماعةً[٨١].

الإنارة بالمسجد النبوي :

اعتادوا على التخصيص لمنابر المسجد النبوي ما يقرب من الثمانمائة قنديل تبقى مضاءة إلى الصباح، وهذه العادة تكون أيضاً ليلة المولد الشريف، وليلة أول جمعة من رجب، وليلة المعراج، وليلة النصف من شعبان، وأيام العيدين، وليلة عاشوراء، وليلة دخول المحمل الشامي والمصري إلى المدينة المنورة، حيث تضاء لهم قناديل المساجد ويبقى الحرم النبوي لهم مفتوحاً كما في رمضان، ويغلق بعد صلاة العشاء في غيرها من الليالي[٨٢] .

زيارة النبي صل الله عليه وسلم بالمسجد النبوي:

شكلت الزيارة للنبي صل الله عليه وسلم بعد كل صلاة مفروضة أمراً لا يتوانون عن أدائه، وبذلك يكون ختام خروجهم من المسجد النبوي وأحياناً تكون قبل الصلاة وبعدها[٨٣].

ليلة القدر :

وفيها يجتهد أهل المدينة المنورة في العبادة فهي ليلة كما ذكر الله تعالى ﴿ خيرٌ من ألف شهر﴾ [٨٤]. فيمتلئ المسجد بالمصلين بكافة أطيافهم، وتوقد القناديل والشموع لإحيائها بالعبادات ويوزع الماء البارد في قِربٍ من البئر الموجود في صحن المسجد النبوي على المصلين . وبعد انتهاء الليلة تطفئ القناديل والشموع ويعود الجميع إلى منازلهم[٨٥] .

ختم القرآن الكريم للإمام الشافعي ليلة السابع والعشرين :

اعتادوا على توجيه الدعوة لكبار الشخصيات المجاورة لحضورها قبلها بليلة؛ ويجتمعون بالمسجد النبوي انتظاراً لآذان العشاء ويكون من ضمن الجمع العلماء، والأعيان، والأكابر على طبقاتهم، ولكل واحدٍ منهم مكانٌ خاصٌ به فرش بسجادةٍ حسب مرتبته؛ كما يكون من ضمن الحضور مفتي الحنفية، ومفتي الشافعية، وقاضي المدينة المنورة، وشيخ الحرم، وخدام الحجرة الشريفة والخطباء وجميع الأئمة والمؤذنين . ثم تقام صلاة العشاء بالإمام الذي تكون النوبة عليه وبعدها تصلى التراويح كلها، وعقبها يجتمع المؤذنون في الروضة الشريفة، وينشدون القصائد النبوية المشتملة على المدائح النبوية، وذكر الروضة الشريفة والمنبر، والحجرة المطهرة، ويكثر الخشوع والبكاء عندما تنشد قصائد في وداع شهر رمضان .

ويكثرون من إضاءة الشموع والقناديل في الروضة الشريفة تلك الليلة، كما يكثرون من مباخر الطيب، والعنبر، والعود؛ حتى يخيل من كثرة البخور أنها سحب ملبدة. ويدار على الحاضرين بمرشات ماء الورد. ويوضع أمام كل جماعة أطباقٌ من مختلف الزهور والورود والفل والريحان والفاغية. وهم يحسنون توظيف منتجاتهم الزراعية التي اُشتهروا بها في احتفالاتهم الدينية وخاصة الأزهار والورود.

وتختم هذه الليلة بإرسال خلعةٍ سنيةٍ مشغولةٍ بالذهب والفضة من شيخ الحرم للإمام بعد فراغه من الختم فيلبسها ويبادر الناس بالمباركة له بالختم الشريف وهو جالسٌ في محراب النبي صل الله عليه وسلم .

ختم القرآن الكريم للإمام الحنفي ليلة التاسع والعشرون :

يحتفل فيها نظير ليلة ختم الشافعي ويدعى لها أيضاً ويتوافد المصلون على طبقاتهم وقد سبقهم خدمهم وفرشوا سجاداتهم في أماكنهم المخصصة والمعينة لهم، وبعد الانتهاء من الختم ترسل للإمام الحنفي خلعة مماثلة لخلعة الإمام الشافعي فيلبسها الإمام الحنفي، ويقوم الحاضرون بالمباركة له بالختم والخلعة . وبعدها ينصرف الجميع إلى منازلهم وهاتان الخلعتان مرسلتان من السلطنة [٨٦] .

صلاة الجمعة:

اعتاد المؤذنون الصعود على المنارات قبل الزوال بساعتين ويبدأ مؤذن المنارة الرئيسية بالذكر والصلاة على النبي صل الله عليه وسلم، وقراءة آيات من القرآن الكريم، فإذا فرغ تلاه مؤذن المئذنة السليمانية في ذلك، ولا يزالون يتناوبون على الذكر والصلاة على النبي صل الله عليه وسلم والتلاوة على كل المآذن إلى أن يخرج الإمام إثر الزوال، وهم يقتسمون الوقت، فإذا قرب دخول الإمام قام أحد المؤذنين على موضع في وسط المسجد يسمى سرير المؤذنين فينشد ما شاء الله، فإذا دخل الإمام صعد المنبر، أذن المؤذنون دفعة واحدة داخل المسجد على ذلك السرير، أما كيفية أذانهم فإنه يبتدئ رئيسهم فيقول: الله أكبر، الله أكبر، فيندفع بعده المؤذنون الآخرون مرددينها دفع واحدة، وهلم جرا إلى نهاية الأذان .

لا تقام صلاة الجمعة إلا بالمسجد النبوي، لذا يحتشد أهل المدينة المنورة بأعداد كبيرة لأدائها؛ فيأتي المرقي للخطيب تجاه الحجرة الشريفة فيقول بأعلى صوته: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم لهم ما يشاؤن عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون)[٨٧]. (بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم طبتم

فأدخلوها خالدين)[٨٨]. (بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما وينصرك الله نصراً عزيزا)[٨٩]. (بسم الله الرحمن الرحيم وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)[٩٠]. ثم يقرأ الفاتحة وبعدها يقوم الخطيب ويقول المرقي: (إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)[٩١]، ويدخل بعدها الخطيب من الباب الخشب باب الشعيرة إلى الروضة الشريفة ويصعد المنبر ويخطب.[٩٢]

عادتهم كل ليلة ويوم جمعة :

في كل ليلة جمعة يجتمع الناس بعد صلاة العشاء في أروقة المسجد النبوي الموالية للصحن ويحضر عددٌ من المنشدين ويقوم كل واحدٍ منهم بإنشاد قصيدة أو قصيدتين، بصوتٍ عذبٍ ذي نغماتٍ موسيقيةٍ وتطريبٍ وتقسيمٍ؛ ولهم أتباعٌ يردون، عليهم والناس محدقون بهم.

دأب الأغوات يوم الجمعة على كنس المسجد النبوي وتنظيفه وكانوا يعلقون على أبوابه ستائر الديباج الأسود المطرزة بخيوط الذهب، وتعليق ستائر من الطراز نفسه على أبواب الحجرة الشريفة ويضعون رايتين سوداوين من الديباج المطرز واحدة عن يمين المنبر، والأخرى عن يساره، ويفرش المنبر من أعلاه إلى أسفله بالديباج المطرز[٩٣].

تنظيف المسجد النبوي في شهر ذي القعدة:

اعتادوا في يوم الثالث عشر من ذي القعدة بعد صلاة الصبح يشرع خدام الحرم النبوي في إدخال المصاحف وصناديق الأجزاء القرآنية الموقوفة في الروضة الشريفة إلى داخل الحجرة المطهرة، والداعي لعادتهم تلك قرب مجيء الحجاج، وخوفاً عليها من السرقة . كما يزيلون البُسط المفروشة داخل المسجد

ويضعونها في خزائنها داخل المسجد وينزلون بعض القناديل المعلقة والشمعدانات النحاس الصغار .

وفي صباح يوم السادس عشر من نفس الشهر يكنسون الحرم النبوي ويعمل جميع أهلها في كنسه . ومن عادتهم في هذا اليوم أن من عليه دينٌ من أهلها، يجمع قليلاً من الحب (القمح) بمقدار دينه ويضعه في قطعة قماش بيضاء، ويرمونها داخل الحجرة الشريفة من الشباك، ويقصدون بفعلهم هذا دفع الهم عنهم وقضاء ما عليهم من دين ببركة النبي صل الله عليه وسلم، وقد ينساق المجاورون في هذه العادة أيضاً، وهذا الحب يأخذونه من صاحب النوبة من الأغوات الذي معه المفتاح في تلك الليلة ونهارها . وفي صباح اليوم التالي يصعد الحكام والأغوات لكنس سطوح الحرم بكامله.

وجرت عادتهم في يوم السابع عشر من ذي القعدة بعد صلاة الصبح اجتماع غالب أهل المدينة المنورة من الأعيان والأكابر وغيرهم، ويجلسون على طبقاتهم ومراتبهم، ويحضر في هذا اليوم الأولاد الصغار، والأطفال ويشرع خدام الحجرة النبوية الشريفة في نقل المصاحف والمربعات إلى داخل الحجرة المطهرة، ويرفعون السجادات المفروشة ويصعد شيخ الحرم مع أتباعه من الطواشية، وقاضي المدينة المنورة إلى سطح المسجد النبوي من الدرج الذي يقع بالقرب من باب النساء؛ لكنس السطح وقبة النبي صل الله عليه وسلم . آخذين بأيديهم عيدان طوال؛ وقد هيؤها من قبل لهذا اليوم .

إذ من عادتهم يبدأ صنع هذه المكانس من أول شهر ذي القعدة، فيؤتى بالمكنسة إلى بيت الطواشي منهم في احتفالٍ يلقى القبول ويحتفل به حتى كأن الواحد منهم ولد له مولود من شدة فرحه ويعمل بهذه المناسبة ضيافةً في بيته يدعو لها أصحابه، وأقاربه، ويعد ألوان من الأطعمةٍ الفاخرةٍ ويبذل العطايا؛ فإذا جاء يوم الكنس أحضر مكنسته حاملها بيده وهو فرحٌ مسرور ويكنس بها .

ويصعد إلى سطح الحرم المختارين لكنسه ومعهم الكعك والأقراص والنقل من البندق واللوز والزبيب والتمر والدراهم . فيكنسون السطح وحول القبة؛ وغالب أولاد المدينة المنورة مجتمعون في الحرم النبوي وهم يرددون (العادة يا سادة) فيرمون لهم من السطح ما معهم من الكعك وغيره وهم يلتقطون ذلك من أرض الحرم الشريف. وهذا اليوم عند أهل المدينة المنورة مثل يوم العيد يلبسون فيه أحسن ثيابهم ويهنئون بعضهم، ويستبشرون بقول الأولاد (العادة يا سادة) .

وكانوا قبل ذلك فيما يبدو عندما كان سكان المدينة المنورة أقل عدداً يقفلون الأسواق في هذا اليوم ولا يبقى أحدٌ إلا ويأتي لكنس المسجد النبوي.

وبعد الانتهاء من كنس السطح ينزل شيخ الحرم والقاضي، والخدام، ويدخلون إلى الحجرة النبوية لكنسها، وإزالة ما رمي بداخلها في اليوم السابق، فيجمعونه ويفرقونه بينهم ويهدونه بعد ذلك إلى أصدقائهم ومحبيهم في الأفاق، ثم يقرؤن الفاتحة مجتمعين عند شباك النبي صل الله عليه وسلم وبعدها يخرج الناس من الحرم .

ولأن أهل المدينة المنورة أهل احتفالات يكملون هذا الاحتفال بالخروج إلى الحدائق والبساتين للتنزه، ويسرفون في المأكل والمشرب ويحصل لهم الانشراح والسرور. كما يخرج معهم في هذا اليوم المشايخ وأرباب الطرق، بالذكر والمزاهر، فيجتمعون في مكانٍ يسمى (القُرين) قرب المدينة المنورة على بعد نصف ساعة، ويمكثون هناك إلى العشاء يعودون بعدها بالذكر والنشيد؛ وتخرج النساء، والرجال، والأولاد للتفرج عليهم. وهذا اليوم عندهم من الأيام العظيمة الحافلة بالمسرة[٩٤].

عادتهم ليلة التاسع عشر من ذي القعدة:

اعتادوا في ليلة التاسع عشر من ذي القعدة في كل عام إدخال الصندل المعجون بماء الورد والعنبر وعطر الورد إلى داخل الحجرة الشريفة وإخراج الموضوع فيها

من العام السابق؛ وتتم هذه العادة في احتفالية أيضاً كعادتهم دائماً . إذ يحضرون المعجون في صواني وغرابيل من الذهب والفضة، ويعمل الصندل كالعجين في دار شيخ الحرم .

وإعداد هذا العمل والاحتفال الأول به من نصيب النساء هذه المرة فالمتوليات لعجنه معاتيق الأغوات من الجواري اللاتي يدعين إليها وجيهات نساء المدينة المنورة ويقدمن ضيافةً كبيرةً بعد الانتهاء من عجن الصندل الذي يدخل به إلى الحجرة الشريفة في اليوم التالي؛ وينفرد بإدخاله شيخ الحرم، والنائب، والخزندار، وكبار الأغوات، فيخرجون أولاً القديم الذي وضع في العام السابق . وتكون طريقة إخراجه بملاعق كبار من الطاقة التي تحت الصندوق المركب بركن جدار سيدنا عمر المعلق عليه الستر الكبير [٩٥] .

عادتهم يوم السابع والعشرين من ذي القعدة:

اعتادت أسر أهل المدينة المنورة على تقديم هدايا للحجرة الشريفة وهي أكياس من الشاش بعدد أفراد الأسرة في كل كيسٍ يضعون من ٢٠-٣٠ درهماً من القمح الطيب، ويضعون هذه الأكياس في الحجرة من الشباك فيأخذها الأغوات خدام المسجد النبوي ويهدونها إلى الملوك، والأفراد، والأكابر؛ ويقصد أهل المدينة المنورة بفعلهم هذا البركة[٩٦] .

عادات خاصة بالحجرة النبوية :

جرت العادة عند الأغوات كل ليلة جمعة كنس الصندوق المواجه لرأس النبي صل الله عليه وسلم، ورشه بماء الورد، وغيره من الطيب .وطريقته يدخل بماء الورد بعد صلاة المغرب، ومعهم مبخرة العود فيعطرون الستارة الشريفة من كل جانب، بالند الذي تشبه رائحته العنبر إذا فاح، والتبخير بالعود وفي كل ليلة، وفي صباح الجمعة تكنس الحجرة الشريفة، وفي صلاة الجمعة توضع عودان من الند في المحراب، فإذا تمت الصلاة يأخذ الإمام ما بقى منهما. وهذا الطيب يصرف

من خزانة الدولة بالأستانة. أما العود فيشترى من جدة. وماء الورد يحضر كل عام من بلاد الشام. ومن مهام الأغوات الاعتيادية اليومية عادة ليلية وهي فتح باب يسمى باب الوقود ومنه يوقدون المصابيح، كما اعتادوا كل ليلة على الدخول من باب يسمى باب فاطمة حاملين الشمع والمباخر. ويتم إيقاد القناديل قبالة الوجه الشريف إلى الصباح

كما اعتاد الأغوات المختصين بخدمة الحجرة الشريفة عدم السماح لأحد بدخولها إلا بعد دفع مبلغٍ من المال فيسمحون له بدخولها قبل الغروب بساعة عند إيقاد الشموع[٩٧].

الآذان بالمسجد النبوي :

للحرم النبوي خمس منارات عاليات يؤذن المؤذون فوقها للصلوات الخمس؛ ففي وقت السحر مثلاً يصعد المؤذنون ويصلون على النبي صل الله عليه وسلم. فإذا دخل وقت الصلاة يأتي رئيس المؤذنين إلى شباك النبي صل الله عليه وسلم ويسلم عليه ويقرأ الفاتحة، ويصلي على النبي صل الله عليه وسلم بأعلى صوته ويفتح باب المنارة التي عند الحجرة الشريفة ويدخل وحده بأدب، ويقفل الباب من الداخل ثم يصعد ويبتدئ الآذان وبقية المنارات الأربع إذا سمع المؤذنون صوته بالصلاة على النبي صل الله عليه وسلم عند الشباك صعدوا إلى مناراتهم؛ فإذا أذن أذنوا وتسمى تلك المنارة بالرئيسة، فإذا فرغوا من الآذان يبتدئ الرئيس بالصلاة والسلام على النبي صل الله عليه وسلم فيتبعه الثاني، ثم الثالث، ثم الرابع، ثم يبتدئ الرئيس فيتبعه الباقون كذلك واحداً بعد واحد على ثلاث أو أربع مرات، ثم يختم الرئيس فيختمون بعده بالترتيب فيكون مدة ذلك قريباً من الساعة. وهذه العادة تكون أيضاً في أوقات الصلوات الخمسة [٩٨].

أماكن صلاة النساء بالمسجد النبوي:

خصص موضعٌ اعتادت النساء على الصلاة فيه؛ يقع وراء خزائن الأغوات

جهة باب النساء بالجانب الشرقي، وعليه قفص من الخشب الشيش المصبوغ بالأخضر فيه أبواب لدخولهن.

ولأهل المدينة المنورة عادة حجز الأماكن للصلاة بالمسجد النبوي خاصة الروضة الشريفة؛ التي وصفها العياشي بالعادة السيئة.

فرش الحرم النبوي :

اعتادوا على فرشه في الصيف بالحصر التي ترد من مصر. وعددها أربعمائة حصيرة في كل عام؛ فيفرش منها ما يكفيه ويوزع الباقي على سائر المساجد والزوايا وبعض منازل الأكابر . أما فرش الشتاء فيكون من السجاجيد الكبار الثمينة المجلوبة من الهند وتفرش فوق الحصر .

أما السقاية بالمسجد النبوي فاعتاد السقاؤن على ملء دوارق الماء من عين الأزرق ويطوفون بها على المصلين أو يضعونها في متناول أيديهم للشرب منها . أما أهل المدينة المنورة الذين كانت منازلهم تطل على الحرم النبوي اعتادوا أداء صلاة الجماعة مقتدين بإمام الحرم لرؤيتهم لجموع المصلين؛ إذ كان لهذه المنازل شبابيك تطل عليه [٩٩] .

العيدان بالمدينة المنورة :

كان الاحتفال بالعيدين في العهد النبوي يقام بمسجده صل الله عليه وسلم، فعادة الترويح عن أنفسهم وجدت منذ ذلك العهد، فقد روي عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- مشاهدتها لأحباشٍ يلعبون بحرابهم داخل المسجد النبوي. كما روي عنها سماعها لغناء جاريتين يوم العيد ولم ينكر النبي صل الله عليه وسلم ذلك.

عيد الفطر المبارك:

العيد عندهم أربعة أيام، تعارفوا على تخصيص كل يوم منها لزيارة وتهنئة إحدى جهاتها الأربع. يقدم فيها للمهنئين الحلوى ويطيب الزائرون بماء الورد وتختم

زيارة المعايدة ببخور العود.

ويبدأ عيد أهل المدينة المنورة بصلاة الفجر في المسجد النبوي، الذي يزدحم بالمصلين من أهلها وأهل القرى المجاورة؛ وبعد صلاة الفجر يقوموا لأداء الزيارة للنبي صل الله عليه وسلم وصاحبيه رضوان الله عليهما، ويعقب ذلك قيامهم لصلاة العيد يخرجون بعدها إلى البقيع لزيارة عموم موتى المسلمين آخذين معهم الريحان والجريد الأخضر لوضعها على القبور، ثم يتوجه الأعيان وأكابر الناس لتناول الإفطار في دار شيخ الحرم الذي يعد لهذه المناسبة في صحن داره مائدةً عامرةً بأطايب الطعام؛ ويذهبون بعدها لزيارة قاضي المدينة المنورة ويعودون عقبها إلى منازلهم لاستقبال المهنئين؛ فاليوم الأول اعتادوا على تخصيصه لتهنئة الحكام، وأصحاب المناصب، والأقارب، وذوي الأرحام. وتستمر التهنئة والزيارات بقية أيام العيد.

واعتاد أهل لمدينة المنورة على تمييز رابع أيام العيد بقيام الأغوات بنصب الزينات بحارتهم، ويخصون بالزينات دكتهم المخصصة لجلوسهم، فيلبسون أعمدتها وجدرانها بالستائر الحريرية الخضراء داخل شبكة الحجرة المطهرة . ويلعب عتقاؤهم ومواليدهم بالسيف والترس والطاسات، وتضرب لمن جاء لمعايدتهم ويجلس الكبير والصغير بأبها حلة إلى وقت الظهر. وهذا اليوم يوم عيد الأغوات والساكنين حول الحرم النبوي.

عيد الأضحى :

لوجود أغلب أهالي المدينة المنورة في مكة المكرمة إما لأداء فريضة الحج، أو العمل على خدمة الحجاج؛ فيصلي من بقى منهم العيد في المسجد النبوي. ويذهبون إلى البقيع كعادتهم، والتوجه بعدها لتهنئة الحكام ينصرفون بعدها إلى منازلهم لذبح الأضاحي. ولا يقيمون الزينات والاحتفالات مثل عيد الفطر لخلوها من معظم سكانها؛ فتؤجل الاحتفالات لحين قدوم ركب الحجيج من مكة المكرمة فيكون يوم

مجيئهم أشبه بأيام الأعياد لوصولهم سالمين[١٠٠].

عادات دينية مرتبطة بالمواقع والآثار الإسلامية :

يقدم إلى المدينة المنورة الحجاج والزوار الحريصون على زيارة المواقع الإسلامية؛ وبما أنهم غرباء عنها ظهرت مهنة الإدلاء أو المزورين، وربما يكون لكل حاج مزور، فهؤلاء المزورون أقاموا صداقات مع الحجاج الذين كانوا ينزلون عندهم، واختصاص مزورين لكبار الزوار والتجار، وهناك مزورٌ خاص لأمير الحاج أيضاً . والمزورون لم يكن جميعهم يؤدون دوراً إيجابياً في مهمتهم تلك . فمثلاً عندما يقومون بتزويرهم لموقع غزوة أحد اعتادوا على تعيين موقع خيمة النبي صل الله عليه وسلم، التي أقاموا عليها إيواناً صغيراً ويأمرونهم بصلاة ركعتين ذاكرين لهم أنها من السنن المحببة؛ وأوهموهم أن من يستل سيفه، وينوي الغزو في هذه البقعة تكتب لهم ثواب الغزوة.

واعتادوا تعيين موقعٍ آخرٍ شماله بما يقرب من خمسمائة خطوة، شيدوا عليه إيواناً سموه إيوانَ عاشوراء، وهو مكانٌ مخصصٌ للشاميين، يعدون فيه طعام يوم عاشوراء ويوزعونه على الحجاج والزوار . وفي جوار هذا الموقع يوجد إيوانٌ لأمين الصرة، وإيوانٌ لشيخ الحرم، يجتمع فيه خلقٌ كثر، ويلقون في نفوس الزوار أن النبي صل الله عليه وسلم يشرف على هذا المكان كل عام؛ فاعتادوا على إعداد العاشوراء للزوار الموجودين .

أما مشهد حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه فقد وضعوا صندوقاً مربعاً، وهذا الصندوق وضع في مقصورة رباعية، وألقوا في نفوس الزوار بأن يضعوا داخل الصندوق سيوفهم وبعد فترة يخرجونها وسط تكبيرات حارس المقبرة، ويضعونها مرة أخرى في خصورهم مع تهليلات الجميع والمباركة لأنهم قد نالوا ثواب غزوة أحد .

ومن عادتهم القول بأن سبب حُمرة التربة في المنطقة المحيطة بضريح حمزة رضي الله عنه هو دماء النبي صل الله عليه وسلم عندما سقطت سنه هناك . فمن مسح أسنانه بهذا التراب يأمن ألم الأسنان ونزلات البرد .

وعينوا شروطاً اعتادوا ممارستها عند زيارة سيد الشهداء رضي الله عنه أولاً : لجهل أغلب الزائرين بالغرض من زيارة المقابر والموقع الإسلامية. وثانياً : لما يحصله المزورون من العائدات المادية منهم، فنجد أن أغلب الزائرين ينصاعون لما يقال لهم وهذا من ضمن سلبيات المزورين في ذلك الوقت.

أما الشروط التي وضعوها لهذه الزيارة فمنها : -

• أن تكون الزيارة وقت السحر، وأن يكون الزائر عاري الرأس، حافي القدمين. لذا لا يمكن أن تكون الزيارة وقت الظهر لحرارة الرمال، والأحجار الشديدة. وإذا لبس الزائر خفاً أو شيء يتقي به الحرارة اعتبر ذلك مخلاً بحرمة المكان، وإضافةً إلى ما سبق من الشروط على الجميع الالتزام بالوضوء؛ لذا يتحرجون كثيراً من الزيارة من غير وضوء. فراج في هذا المكان بيع الماء على الراغبين في الوضوء.

ومن عاداتهم خلال شهري محرم وصفر من كل عام يُقرأ المولد عند مقبرة حمزة رضي الله عنه ويكتظ الموقع بالزائرين وتتعالى أصوات المنشدين بالأناشيد الدينية والدعاء والابتهالات .

واعتاد أهل المدينة المنورة بعد انقضاء الموسم ورحيل قوافل الحجاج يعيدون فرش المسجد النبوي ويتنافس الجميع في ذلك، ولا يستثنى في ذلك الأمراء، ويتعاون الكل في تنظيفه وفرشه بالسجادات الجميلة التي لا يوجد لها مثيل إلا في بيوت الملوك والتي تجلب من الهند هدية من ملوكها ومن هذه السجادات ما هو مصنوعٌ من الحرير الخالص وبعضها مصنوعٌ من أجود أنواع الصوف الملون الذي يصعب التفريق بينه وبين الحرير وهذه تكون مخصصةً لفرش المسجد القديم كما تخرج صناديق الكتب من الحجرة الشريفة وتصف في قبلة المسجد [١٠١] .

الزيارة الرجبية :

اعتادوا على تخصيص الاثني عشر يوماً الأولى من رجب في إقامة مولدٌ عند تربة سيد الشهداء رضي الله عنه، وهذا المولد والزيارة مشهورة في الأفاق، وتشد الرحال إليه كل عام في قوافل كثيرة. فأهل المدينة المنورة اعتادوا إقامة الاحتفالات، ولكل جماعة منهم مكان مخصص بقرب المزار. ولهذا بنيت على جبل الرماة بيوتاً كثيرة من الحجر واللبن للأهالي ينزلون فيها وقت الربيع وأيام الزيارة الرجبية كل سنة ولكثرة من يقدم شبهت بليالي منى؛ إذ يحضر أهل المدينة المنورة رجالاً ونساءً؛ والنساء لهم باب خاص يحرسه بوابٌ مخصص لهم. كما يحضر أهل مكة المكرمة والطائف وجدة ورابغ وسكان البوادي واليمن ونجد وأرباب الطرق الصوفية، وتذبح هناك الذبائح ويقدم الطعام للحاضرين.

ولشدة حرصهم على إقامة الاحتفالات هناك بنيت مصاطب لأكابر وأعيان وعلماء المدينة المنورة لكل شخص مصطبة مخصوصة . ويقام في هذه الأيام سوقٌ رائجة يباع فيها الطعام والشراب ومختلف التجارات[١٠٢] .

زيارة مسجد قباء :

درجوا على زيارة مسجد قباء كل يوم سبت واثنين . وهذه الزيارة لها أساس من السنة النبوية لما روي عن النبي صل الله عليه وسلم، أنه كان يأتيه كل يوم سبت ماشياً وراكباً. واعتاد الأولاد الصغار على التواجد عند بابه، إذ وجدوا لهم باب رزق من خلال حفظهم لدواب الزائرين لقاء دراهم معدودة.

وعندما يقدم الحجاج يقوم المزورون باصطحابهم لزيارته ويوحون إليهم بالصلاة ركعتين إلى القبلة وركعتين إلى بيت المقدس [١٠٣]. وهذا الأمر يعود لجهل الحجاج بدينهم وسعي المزورين لاستجلاب الأموال منهم بدون وجه حق.

زيارة البقيع:

دأب أهل المدينة المنورة على زيارتها رجالاً ونساءً ليلتي الاثنين والخميس

آخذين معهم الريحان ويضعونه على القبور – وهم في عادتهم هذه يتشبهون بالرسول صل الله عليه وسلم عندما شق جريدةً ووضعها على قبرين – وفي البقيع اعتادوا قراءة ما تيسر من القرآن الكريم ويأخذ القراء ما تيسر من النقود مقابل ذلك. ويحملون معهم الماء لبيعه على الراغبين [١٠٤].

عادة تعيين القيمين على المشاهد :

اعتادوا على إقامة حراس للمشاهد مهمتهم إنارة وكنس وإغلاق أبوابه وقبض ما يؤتى به من صدقة للمشهد . واختص كل مشهد بقيم؛ والقيم يوليه أحد كبار رجالات الدين التابع له الولاية العناية به، ويجتمع لهذه المشاهد من أموال الصدقات التي يذهب جزء منها إلى القيم والباقي للمتولي [١٠٥].

عادات اجتماعية يومية :

رصد العياشي عادة أهل المدينة المنورة في الأكل فقال : لهم ولع شديد بأكل اللحم، وعللوا ذلك بأن أجسامهم تضرر إذا لم يتناولوه . كما أن نساءهم لا يطبخن غداءً أو عشاءً إلا وفيه لحم. ولشدة حرصهم على وجود اللحم في طعامهم يشترون العبد الذي يقتصر عمله على شراء اللحم فقط. فيبحث عنه في أسواق المدينة المنورة وضواحيها في زمن ندرته، فإذا وجده كان ذلك شغله في ذلك اليوم، ولا يستخدمونه في غير هذا العمل .

ومن عادة المرأة المدنية ما يسمى (بالشخشخة) وفسرها العياشي بأنه ما تشتريه المرأة من الأزهار والطيب، وربما بلغ ما تأخذه في اليوم ريالاً.

ولأهل المدينة المنورة عادة الخروج إلى مساجد الفتح بقصد التنزه في أيام كثيرة وخاصة في النصف من شعبان، إذ يخرجون بالخيام والأطعمة الكثيرة فيبيتون هناك في لهوٍ وطرب؛ وذكر العياشي (أن لنساء المدينة المنورة عوائد ذميمة في الخروج والتنزه والتفرج في البساتين والأماكن الفسيحة، ويسمون ذلك القائلة، فيقولون : نقبل اليوم في الموضع الفلاني، وخروج الرجال أكثر)، وأشار إلى أن المرأة قد

تكلف زوجها في مثل هذه الخرجات من النفقة ما لا طاقة له .[١٠٦]

عادات اجتماعية أسبوعية :

ذكرنا سابقاً حرص أهل المدينة المنورة زيارة البقيع ليلة الاثنين والخميس. وزيارة مسجد قباء كل يوم سبت[١٠٧]. وهي من العادات التي لها أصل من السنة النبوية.

عادات اجتماعية شهرية:

شهر رمضان :

في ليالي رمضان اعتاد أهل المدينة المنورة على تزين الأسواق وإيقاد القناديل ويجتهدون في الزينة من تعليق الفُرش ذات الألوان الجميلة . ويعرضون الحلويات بأنواعها وأشكالها أمام المارة لبيعها .

ويحرصون في سحورهم على تناول نقيع التمر أو المشمش المجفف المنقوع في الماء؛ وإن كانوا يفضلون نقيع التمر على غيره تبركاً بفعل النبي صل الله عليه وسلم[١٠٨]

واعتاد أغنياء المدينة المنورة على توزيع الملابس البيضاء على الفقراء والمحتاجين قبل عيد الفطر المبارك [١٠٩].

عاداتهم في شهر ذي القعدة :

عندما يبدأ شهر ذي القعدة يستعدون لسداد الديون؛ بسبب حضور المحمل الشامي والمصري المحملان بالصدقات والأموال التي توزع وفق قوائم سجلات أسماء السكان . ففي ليلة دخولهما إلى المدينة المنورة تضاء لهما قناديل المسجد النبوي ويبقى الحرم النبوي مفتوحاً لهما إلى حين سفرهما .

وذكر النابلسي أن الأغوات اعتادوا على غسل قناديل الحرم النبوي يوم الثاني والعشرين من ذي القعدة بسبب قدوم الحجاج من جهة الشام؛ و يزيدون في عدد قناديله[١١٠] .

قدوم قوافل الحجاج إلى المدينة المنورة :

دأب سكان المدينة المنورة على استقبال القادمين عليهم؛ والتي يبدو أنها بدأت عندما هاجر النبي صل الله عليه وسلم إليها . وقد أشار ابن رشيد في القرن السابع الهجري عن ملاقاة أهلها للركب مهنئين بسلامة وصولهم وقدموا لهم التمر هدية لهم . واستمرت هذه العادة إذ أشار إليها الرحالة مثل القيسي واليوسي ومن تلاهم من الرحالة . وقد صور هذا المشهد بصورة بديعة النابلسي الذي قال : أن أهل المدينة المنورة منذ يوم الرابع والعشرين من ذي القعدة دأبوا على نصب الخيام على طرف جبل سلع لانتظار القادمين، وهذا الأمر لا يقتصر على عامة الناس بل يشاركهم في ذلك شيخ الحرم والأغوات فكل جماعة لها خيمة تنتظر فيها الركب . وأكمل الرحالة الدرعي المشهد قائلاً : تتلاقى جموع المستقبلين مع جموع الحجاج في مشهد مؤثر للغاية؛ استقبلوهم مشاة وركباناً نساءً ورجالاً وصبياناً وشيوخاً وكهولاً وشباناً أحراراً وعبيداً وولداناً قائلين: (مرحباً وسهلاً طيباً، آنستم، بلغتم). ويكون هذا اليوم مفرحاً للصبيان إذ يتنقلون بين الراكبين مرددين (يا حاب النبي ركبني) وكأن هذه الكلمة لها مفعول السحر للحجاج فيبادرون لإرداف الصبي والصبيين، وربما ينزلون عن جمالهم ويركبونهم . ويظل هؤلاء الصبية ممتطين الإبل إلى أن تطيب نفوسهم .

وتتراوح ألفاظ الاستقبال للحجاج من (حمداً لله على السلامة يا حاج .. زيارة مقبولة .. وحج مبرور) . أما الفتيات الصغيرات فينشدن الأناشيد والقصائد الدينية وهن في صحبة الحجيج ومرافقات لهن إلى أن يدخلن المدينة المنورة . ويقابل الحجاج أهل المدينة المنورة بنفس مشاعر الحب والفرح قائلين لهم:(شكراً لله.. لقد قدمنا إلى آعتاب سيدنا ونبينا الذي هو رحمةً للعالمين).

ولا ينتهي مشهد الاستقبال عند هذا الحد ؛بل يتواصل إلى داخل المدينة المنورة، إذ يجد الحجاج أهلها مصطفين على جانبي الطرق والشوارع لاستقبالهم

والحفاوة بهم، فتنحر الذبائح لهم أما نساء المدينة المنورة فقد اصطففن في نوافذ منازلهن وارتدين الفساتين الحريرية مطلقين الزغاريد ويذهب قسم منهن إلى بستان يقع على طريق الحجاج لمشاهدة دخولهم إلى المدينة المنورة . وهذا حدثٌ تستعد له المدينة المنورة فهو لا يتكرر إلا كل عامٍ مرة . وما أن يستقر الركب حتى تطلق مدفعية القلعة ما بين سبعين وثمانين طلقة .

ويتلقى أهل المدينة المنورة الحجاج من عرفوا منهم ومن لم يعرفوا ببشاشة وسعة صدر، يدعونهم إلى منازلهم، ويرحبون بهم، ويضيفونهم لا يبتغون من ذلك أجراً . ويقيمون لهم الولائم الفاخرة، ويرتدون أفخر ثيابهم فتعقد الصداقات فيما بينهم؛ ويعينونهم على أداء مناسك الزيارة فيكونون مرشدين لهم وهنا يتضح دور المزور أكثر . وهذا مما لا شك فيه يحقق للمزورين مكاسب عديدة؛ فالحجاج يكونون محملين بالهدايا والأعطيات لأشخاص سبق لهم عقد صداقات معهم . ويطلبون من الحجاج أن يدعوا لهم بالمغفرة، فتنجبر خواطر الحجاج سواء الأغنياء منهم أو الفقراء بهذا الاستقبال الذي يتواصل إلى أن ينزلوا في منازلهم .

فشهر ذي القعدة من الشهور التي تعج فيها المدينة المنورة بالنشاط، فأبوابها مفتوحةٌ، وأسواقها ومحلاتها التجارية مفتوحةٌ ليلاً ونهاراً، وكذلك في شهر رجب وشعبان وقت الزيارة الرجبية ووجود الزوار[١١١] .

وفي ذي القعدة يحضر الحجاج التواقون لزيارة كل موضعٍ إسلامي، لذا أمتهن قسم من سكان المدينة المنورة الفقراء بيع الماء لهم للوضوء، إذ يعدونه في أباريق وقد يرتفع سعره كثيراً . وقسمٌ يتبادل مع الحجاج السلع التجارية بالبيع والشراء في كافة أسواق المدينة المنورة التي تبتدئ من باب المصري إلى الحرم النبوي . وهذا النشاط التجاري ينحصر في مواسم الزيارة الرسمية مدة الحج ورجب . وعلى العموم فتجارتها عمادها على الواردات الخارجية من الهند والشام من الأقمشة القطنية، والصوفية، والحريرية، والسبح، والليف الأبيض، والحناء، والبسط

والسجاد، والحنابل العجمية والهندية والمغربية والأناضولية، وأثمانها أغلى منها في مكة المكرمة ومصر وشراء الحجاج منها يكون على سبيل البركة وسهولة الصرف في هذه الجهات، وتتصدر المدينة المنورة ببيع منتجاتها من التمر ذو الأصناف الكثيرة والجيدة [١١٢] .

وفي ذيْ القعدة يحضر أمين الصرة مع قافلة الحج الشامي وتحضر المبالغ المخصصة من مصر، و بحضور شيخ الحرم وقاضي المدينة المنورة يقوم بتوزيع الحصص على أصحابها نهاراً وليلاً تحت أضواء المشاعل طبقاً للسجلات الواردة فيها أسماء أهل المدينة المنورة المستحقين لهذه الحصص . ويتم التوزيع وسط فرحة الأهالي وتهليلهم والدعاء لمرسلها[١١٣] .

ويحرص الحجاج على توزيع صدقاتهم على فقراء أهل المدينة المنورة سراً، ولأنهم لا يعرفونهم؛ يعطون الفقراء والمحتاجين الجالسين في المسجد النبوي، وبمجرد إظهار الصدقة علناً أو يراها أحد من الموجودين فإن ما مع الحاج لا يكفي، وسوف يجتمع عليه الموجودون، وربما يمزقون ملابس المتصدق بسبب إلحاحهم وتزاحمهم عليه، وحتى الأغوات الصغار يريدون أن يكون لهم منها نصيب فأهل المدينة المنورة- أغنياؤهم وفقراؤهم- ينتظرون مقدم الحجاج سنوياً لما ينالهم من هذه الأموال .

وفي ذي الحليفة أنشئوا بساتين النخيل التي تسقى بالسواني من الآبار المحفورة، ولمرور الحجاج بنوا الأحواض الكبيرة ليشرب منها الحجاج، ويسقون دوابهم، ويغتسلون من مياهها . واعتاد أهل المدينة المنورة إقامة سوق كبير لبيع منتجات مزارعهم على الحجاج، واعتاد الفقراء التكسب من وراء تعليم الحجاج شروط الإحرام وكيفيته [١١٤] .

عاداتهم في شهر محرم وصفر :

عندما تعود قوافل الحجاج بعد أداء مناسك الحج إلى المدينة المنورة، يتقدم

أمراء الحج بقراءة المولد الشريف ليلة رحيلهم في الحرم النبوي، بحضور قاضي المدينة المنورة، وشيخ الحرم النبوي، وأكابر الحجاج، وأعيان أهل المدينة المنورة، ويشعلون الشموع الكبار الموضوعة على شمعدانات من الفضة والذهب في صحن المسجد النبوي، كما توقد جميع القناديل، ويجتمع أناسٌ كثر لهذه المناسبة وبعد الانتهاء من قراءته ينشد المنشدون الأناشيد الدينية وقصائد المدائح النبوية . بعدها تفرق أكواب شراب السكر المذاب ويأكلون اللوز والسكر وينثرون الأزهار ويرش الحاضرون بماء الورد والزهر .

أما المؤذنون فيقومون بإنشاد المدائح النبوية، وتبقى أبواب المسجد النبوي مفتوحةً الليالي الثلاث التي تسبق رحيل قوافل الحجاج ليتمكن الجميع من البقاء أطول مدة ممكنة فيه [١١٥].

ومن عادة أهل المدينة المنورة في شهر صفر إقامة مولدٌ للسيد العريضي شقيق ذو النفس الزكية عند قبره؛ ومسجده يقع شرقي المدينة المنورة على بعد ساعة ونصف منها. ويستمر هذا المولد أربعة أيام [١١٦].

عاداتهم في شهر ربيع الأول :

في هذا الشهر اعتادوا إقامة المولد النبوي، إذ يستعدون له بعد طلوع شمس صباح يوم الثاني عشر من ربيع الأول، ويعين لقراءته أربعة أشخاص من الأئمة يجتمعون في صحن المسجد النبوي من قبلي الحديقة الموجودة في الصحن . فيصعد الإمام الأول على كرسي مخصص ومعدٍ لهذه المناسبة للقراءة؛ فيقرأ أحاديث تتعلق بفضل النبي صل الله عليه وسلم ويختم الجزء المخصص له بالدعاء لسلطان المسلمين ثم ينزل؛ ويصعد بعده الإمام الثاني فيقرأ الجزء المشتمل على ولادته صل الله عليه وسلم ويختمه بالدعاء لسلطان المسلمين ثم ينزل ويصعد الإمام الثالث فيقرأ الجزء الخاص برضاعته صل الله عليه وسلم ويختم بالدعاء أيضاً وينزل ؛ويصعد الإمام الرابع فيقرأ الجزء المتعلق بهجرته صل الله عليه وسلم ويدعو للسلطان

وينزل.

وبعد الانتهاء من سرد السيرة النبوية يشربون شراب الورد ويأكلون الحلويات والتي منها اللوز الملبس بالسكر وعقب ذلك ينصرف الجميع .

ويخصص من خزينة المسجد النبوي تكاليف إقامة المولد النبوي وما يقسم فيه من مشروباث وحلويات؛ إذ يعد ما يقرب من الألفين دورق مملوءة بشراب الورد لأشخاص معلومين، بحيث يكون لكل شخص دورق أو دورقين، وبعضهم يأخذ ثلاثة أو أربعة، وتكون أفواه الدوارق مربوطة بقماشٍ أبيض نظيف وجديد، وتكون مهمة سقائي الحرم النبوي توصيلها إلى بيوت الأشخاص المعينين سلفاً، أما شيخ الحرم النبوي، والنائب، والأغوات، والعساكر النظامية فترسل لهم قِرب مملوءة. بينما من حضر في المسجد النبوي فقد أعدت لهم خيمة تنصب في صحن المسجد النبوي بها الكثير من القِرب المملوءة بالشراب؛ ويصب الشراب في كؤوس يفرقها الموظفون المختصون بباب الحجرة النبوية فيسقى الأعيان والحاضرين . ولا ترفع الخيمة حتى يتفرق الجمع عائدين إلى منازلهم . وهذا الترتيب يعمل به أيضاً ليلة المعراج[١١٧] .

عادتهم ليلة المعراج :

تخص ليلة المعراج باحتفالٍ في صحن المسجد النبوي غربي الحديقة . ويبدأ الاحتفال بعد صلاة عصر يوم السادس والعشرين من رجب في كل عام، ويزدحم الناس أكثر من ليلة المولد، ولكن يقتصرون في هذه الليلة على قارئٍ واحدٍ يسرد قصة المعراج؛ ويشترط أن يكون من بيت الخليفة العباسي؛ ولأنه من هذه الذرية يحيطونه بالعساكر خوفاً عليه من أن تمزق العوام رداءه من شدة الازدحام عليه . ويحرص على حضور هذه المناسبة بالمدينة المنورة عددٌ من أهالي مكة المكرمة وجدة وينبع وغيرها من المدن بإضافة إلى سكان البوادي .

عادتهم ليلة النصف من شعبان :

يبالغ سكان المدينة المنورة في الاحتفالات الدينية المقرونة بأحداث إسلامية مهمة يحيونها بمختلف العبادات من صلاة وأدعية يتخللها الابتهالات والأناشيد الدينية، ولا ينسون الإضفاء على احتفالاتهم طابع الحبور بإحضار الزهور، والرياحين، والحلويات، وتوزيعها على الجميع؛ ويتم ذلك تحت أضواء القناديل. ففي ليلة النصف من شعبان يشعلون القناديل على المنابر؛ إذ يقدر عدد ما يوقد منها ثمانمائة قنديل والتي تبقى مضاءة إلى الصباح . وهذه الإضاءة تكون أيضاً ليلة المولد الشريف وليلة أول جمعة من رجب وليلة المعراج وأيام العيدين وليلة عاشوراء وليلة دخول المحمل الشامي [١١٨] .

عادات سنوية لأهل المدينة المنورة :

فصل الربيع :

ينزل أهل المدينة المنورة في منازل بنيت بالحجارة واللبن في فصل الربيع على جبل الرماة لتبديل الهواء .

فصل الصيف :

وفي قباء وجد نخل مملوكٌ للأهالي والعربان الذين يسمون الصيارين لأنهم يحضرون وقت جنيه في الصيف ثم يعودون إلى ديارهم بعد جنيه.

عادات أخرى عامة :

اعتاد التكارنة بناء مساكنهم من اللبن في سفح جبل سلع؛ كما اعتاد المنقطعون من أهل البادية بناء بيوتٍ من الشعر لسكنهم، وكان قوام رزقهم عمل صغارهم بجمع روث البقر وبعر الإبل وبيعه، أما كبارهم فيعملون لدى أصحاب الحدائق والبساتين لحراستها[١١٩] .

عاداتهم في البيع من الأعراب :

اعتاد الأعراب على جلب اللبن والجبن والسمن والغنم إلى المدينة المنورة،

فيتلقاهم فئة من الأعراب الساكنين داخلها وفي أطرافها سماهم العياشي البرغازيين لشراء ما لديهم وإعادة بيعه في أسواق المدينة المنورة، وقد اعتادوا على هذا النوع من البيع وألفه القادمون أيضاً.

واعتاد سكان المدينة المنورة على التدثر بالثياب الثقيلة في نهاية الحر وإقبال البرد، فعندما يبرد الهواء صباحاً ومساءً يبدأ أهل المدينة المنورة يتدثرون بالثياب الكثيفة التي لا تلبس إلا في إيام البرد الشديد، وعللوا ذلك للعياشي بعدم تعود أبدانهم على البرد وإن لم يفعلوا ذلك فإنهم يصابون بالمرض [١٢٠] .

عادتهم في التدريس :

اعتاد المدرسون في المدينة المنورة على التوقف عن القراءة والتدريس في المكتب والمسجد النبوي يومي الثلاثاء والجمعة؛ ويشتغلون بالتدريس في غيرهما من الأيام، ويتوقف التدريس في أيام المواسم [١٢١] .

عادتهم عند هطول الأمطار :

صادف وقت مجاورة العياشي هطول أمطار غزيرة دخلت المسجد النبوي مما أدى إلى امتلاء صحن المسجد النبوي بالماء حتى أصبح كالبركة العظيمة، ولم تستطع بالوعات المسجد تصريفه لضيق بعضها؛ فأغرق الماء فُرشه الثمينة، عندئذ شمر الجميع عن ساعد الجد وتصايحوا لاجتماع الناس الموجودين بالقرب من المسجد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، فهبوا لجمع البُسُط بعدما أبتل أكثرها، إذ وصل الماء إلى المنبر والمحراب النبوي، بل لقد وصل إلى الصف الأول . وعندما حانت صلاة العصر لم يجد المصلون موضعاً لم يمسسه الماء فصلى الإمام على دكة الأغوات مع طائفة من الناس وصلى الباقون في أروقة الصحن الشرقية والغربية، وبعد ذلك اجتمع الناس لإخراج الماء من المسجد مستخدمين في ذلك الأواني الكبار والأسطل، وفي اليوم التالي بولغ في تنظيفه وغسله وكنسه . أما عندما يدخل ماء المطر داخل المسجد النبوي يسارع جميع سكان المدينة المنورة لتنظيفه، مثلما

يسارع جميع أهل مكة المكرمة لتنظيف المسجد المكي عندما تداهمه السيول [١٢٢] .

عاداتهم وقت القحط والملمات الكبيرة :

يوجد للحجرة النبوية الشريفة في جهتها الغربية باب واحد في الروضة المطهرة، يعرف بباب الوقود؛ وقد اعتاد سكان المدينة المنورة على فتحه وقت الأزمات مثل طلب النصر لسلطان المسلمين على أعدائه . أو لدفع وباء، أو ألم بهم قحط شديد . وعندما يفتحونه يُخرج أغوات الحرم النبوي المصحف العثماني المحفوظ بالحجرة الشريفة، والمكتوب بالخط الكوفي على رق غزال؛ ويشترط لمن يقرأ منه في هذه المناسبة أن يكون رجلاً عالماً مشهوراً مشهوداً له بالصلاح، ويجتمعون تجاه الوجه الشريف ويتوجهون بالدعاء هناك[١٢٣] .

احتفالات أهل المدينة المنورة بانتصارات أمير مكة المكرمة على قبائل حرب :

نورد هنا مثالاً لهذه المناسبة التي حدثت عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م. وأغلب الظن إن ما يحدث قبل ذلك يماثل هذه الحادثة . فقد زينت المدينة المنورة ثلاثة أيام بلياليها، وكان ذلك في النصف من رمضان من عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م . وأطلقت المدافع من القلعة، وعندما وصل خبر انتصار الشريف على قبائل حرب زينت الأسواق، وأضاءوا الكثير من القناديل والشموع، ورفعوا الأعلام، وبسطوا الفرش الملونة، ومدوا الموائد المحتوية على الحلويات ذات الألوان والأشكال الكثيرة للبيع حول المسجد النبوي وهذا يماثل ما كان يحدث بمكة المكرمة أيضاً .

وعندما قرب وصول الشريف إلى المدينة المنورة خرج أهلها إلى ذي الحليفة لاستقباله رافعين أيديهم بالدعاء له، والشريف في مقدمة الموكب ويسلم على أهلها يميناً ويساراً وعساكره من العربان والمشاة بين يديه . وكان في استقباله شيخ الحرم النبوي وقاضي المدينة المنورة، والناس في ازدحام شديد جالسون على طبقاتهم ينتظرون مقدم الشريف ودخوله إلى المدينة المنورة، وبعد دخوله إليها توجه إلى الحرم النبوي وتفرقت عساكره خارج المدينة المنورة؛ أما العربان الذين

كانوا معه فنزلوا بين النخيل وفي الصحاري حول المدينة المنورة. وبعد أداء الشريف واجب الزيارة رجع إلى منزله خارج المدينة المنورة جهة باب المصري في الجهة الغربية .

وحضر الشريف صلاة الجمعة في المسجد الشريف الذي كان غاصاً بالمصلين، وقام الخطيب لخطبته التي أنشأها مناسبة للحال، فتحدث عن أحكام البغاة الخارجين عن طاعة إمامهم، والمحاربين له. وكان الشريف يسمع الخطبة وهو جالس في المحراب العثماني عند حائط القبلة، فأرسل للخطيب خلعة بيضاء فصعد الحامل لها إلى المنبر وألبسها للخطيب أثناء الخطبة، وبعد أن لبسها الخطيب أكمل خطبته، وأقام بعدها الصلاة في المحراب العثماني[١٢٤].

ألف أهل المدينة المنورة وجود طالبات العلم من النساء، فقد أفسح لهن المجال لطلبه؛ بل وصل الأمر أن منهن من بلغت مرتبة عالية وكلمة مسموعةً عند العامة والخاصة؛ كما جدت نساء ثريات قمن بوقف أملاكهن للأعمال الخيرية، فلم يكن مستغرباً عند أهل المدينة لمنورة إقامة ناظرة على الوقف سواءً مباشرةً له بنفسها أو بتوكيل من ينوب عنها .

المشيخة أو الرئاسة : -

اعتاد أهل المدينة المنورة على وجود شيخ أو رئيس لكل طائفة من المجتمع المدني سواء كانوا صناعاً أو لجنس من الأجناس، وذلك لتنظيم أمرها، فقد كان هناك شيخ الكناسين، وشيخ الفراشين، وشيخ المزورين، وشيخ المغاربة، وشيخ البخارية، وشيخ السقاءين . والغريب في الأمر أن المجتمع المدني لشدة حرصه على التنظيم جعلوا للفقراء شيخاً أيضاً يرجع إليه الفقراء لتنظيم أمورهم .[١٢٥]

الخاتمة

- كان المسجد النبوي والمواقع الإسلامية الأولى مدار حياة أهل المدينة المنورة الاجتماعية يدورون في فلكها حيث ما وردت الأحاديث النبوية التي أشارت إلى واقعة أو فعلٍ قام به النبي صل الله عليه وسلم. فمن المسجد النبوي والمواقع الإسلامية انبثقت العديد من العادات الاجتماعية التي أضفوا عليها الصفة الاحتفالية. وقد ساعدهم على ذلك بيئة المدينة المنورة ومناخها ، فوجود الحدائق والبساتين التي زرعوا فيها مختلف أنواع الأزهار و الورود ووظفوها في مناسباتهم المتعددة مما زاد احتفالاتهم بهجة، حتى وإن كانت من العادات الدينية مثل قيام رمضان وليلة القدر والاحتفال بالعيدين وصلاة الجمعة.
- لعب الأغوات والمجاورون دوراً هاماً في تنوع العادات الاجتماعية وتطورها. فسكان المدينة المنورة عاشوا البساطة في عهد النبي صل الله عليه وسلم ، وتطورت مع تدفق المجاورين المحملين بعادات أقطارهم فوجدت البيئة المناسبة التي امتزجت فيها هذه العادات لتخرج بعادات خاصة بسكان المدينة المنورة و إن غالوا في بعضها كثيراً.
- العامل التاريخي كان بلا شك من المؤثرات البارزة في تشكيل نمط بعض العادات التي أدت إلى ظهور فئة الأدلاء أو المزورين الذين لم يكن دورهم دائماً جيد.فقد لوحظ تنكبهم عن الطريق الصحيح بما أشاعوه من أمور لا تمت إلى الإسلام بصلة.
- إن أهل المدينة المنورة وظفوا المسجد النبوي والمواقع الإسلامية لخدمة حياتهم عامةً وحياتهم الاجتماعية خاصة، و إن بالغوا في ذلك كثيراً. فبسببها خصوا بالأعطيات والصدقات التي ركنوا إليها كثيراً. وصرفوها في بناء منازلهم والترفيه الذي وصل إلى درجة الإسراف. ولا يعني هذا

أن حياتهم كانت على وتيرة واحده و هادئة في مجملها، إذ مرت عليهم أوقات كثيرة عاشوا فيها خوفاً وقلة أمنٍ أدى إلى تركهم للمدينة المنورة حفاظاً على أرواحهم.

- تنوعت العادات الاجتماعية بالمدينة المنورة من عادات يومية أو شهرية أو سنوية، شاطرت المرأة المدنية فيها الرجال بحرية وعدم ممانعة خاصة في تولي نظارة الأوقاف ومباشرة التجارة والتنزه، بل شاركت في الإعداد للاحتفالات الدينية واستقبال ركب الحجاج.
- وخلاصة القول نجد أن:

العادات الاجتماعية بالمدينة المنورة تلقائية ارتبط بعضها بأحداث ماضية وأمكنه و أزمنة محددة ودون سلطة تعمل على تطبيقها وإنما كانت بإرادة المجتمع المدني مع مشاركة المجاورين فيها، لما لبعضها من قدسية في النفوس، ومتعلقة بمناسبات معينة خضع لها سائر المجتمع.

١- نواب، عواطف بنت محمد: ملامح من الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة خلال القرن العاشر الهجري في ضوء كتابي بلوغ القرى للعز بن فهد ونيل المنى لجار الله بن فهد. مجلة الدارة، عدد خاص بمكة المكرمة عاصمة الثقافة، العدد ٣، السنة الحادية والثلاثون، ١٤٢٦هـ. أنظر كامل البحث.

٢ - الخياري، ياسين أحمد ياسين: الحياة الاجتماعية بالمدينة منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى العقد الثامن منه، تقديم ومراجعة وتوجيه عبيدالله محمد أمين كردي، قام بإعداد المخطوطات وتجزئتها المهندس/ سمير أنور عدنان عشقي، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م. مؤسسة المدينة المنورة؛ د/ بدرشيني، أحمد بن هاشم بن أحمد: مظاهر الحياة الاجتماعية في مكة والمدينة أبان القرن الثامن الهجري من خلال كتب الرحالة، مجلة المدينة المنورة، العدد ٨، محرم - ربيع الأول ١٤٢٥هـ/مارس - مايو ٢٠٠٤م.

٣ – القرآن الكريم: سورة الحشر، آية ٩ .
٤– القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، ط ٢، د.ت، د.م . ج ١٨، ص ٢٠– ٢٩ .
٥– التجيبي، القاسم بن يوسف السبتي (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م): مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبدالحفيظ منصور، ليبيا – تونس، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .ص٣٠٨.
٦– البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م): صحيح البخاري بحاشية السندي، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج، ١، ص ٣٢٣ .
٧– القيسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الشهير بالسراج الملقب بابن مليح (كان حياً حتى عام ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م): أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب صل الله عليه وسلم، تحقيق محمد الفاسي، فاس، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م. ص ٨٩–٩٢.
٨– نواب، د.عواطف بنت محمد بن يوسف: الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. مكتبة الملك فهد الوطنية، ص ١٠١
٩– العياشي، أبو سالم عبدالله بن محمد بن أبو بكر (ت ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م): المدينة المنورة في رحلة العياشي، تحقيق محمد أمحزون، دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ص ٢٣٧– ٢٣٨، ٢٤٢–٢٤٣ ؛ المنالي، عبدالمجيد بن علي الزبادي (ت ١١٦٣هـ/١٧٥٠م): بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، رقم ك ٣٩٨ . ص ٨٠ .
١٠– النابلسي، عبدالغني بن إسماعيل (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م): الحقيقة والمجاز في رحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد د/ أحمد عبدالمجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م. د.م. ص ٤٦٩.
١١– ابن رشيد، أبو عبدالله محمد بن عمر الفهري (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م): ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. الدار التونسية، ج ٥، ص ١٦ .
١٢– القرآن الكريم: سورة الحج، آية ٢٧ .
١٣– البخاري: صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٠٧.

١٤- العياشي، أبو سالم عبدالله بن محمد بن أبوبكر(ت ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م): ماء الموائد، مخطوطة بالخزانة الحمزاوية رقم ١٨٢، المغرب، ص ٤٠٧؛ الأنصاري، عبدالرحمن (ت١١٩٧هـ/١٧٨٣م): تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العمروسي المطوي، تونس، المكتبة العتيقة، ١٩٧٠م . ص ٤٦٣؛ الناصري، أحمد بن خالد (ت ١٣١٥ت/ ١٨٩٧م): الإستقصا لإخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدارالبيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٦م. ج ٧،ص ١٠٢؛ قزاز؛ حسن عبدالحي: أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١ ،١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. ص ١٧٩.

١٥- القيسي: أنس الساري، ص ٩٢؛ جلبي، أوليا (ت ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٤ م): الرحلة الحجازية، ترجمة عن التركية وقدم لها، د/الصفصافي أحمد مرسي، دار الأفاق العربية. ١٩٩٩م.ص ١٤٠، ١٥٣- ١٥٤ ،١٤٧؛ العياشي: المدينة المنورة ،ص ١١٠-١١١، ١١٧وغيرها؛ الرافعي: المعارج المرقية، ص ١٧٤؛ رفعت، إبراهيم رفعت باشا (١٣٥٣هـ/١٩٣٥م): مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية محلاه بمئات الصور الشمسية، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٤٢٧؛ البتنوني، محمد لبيب: الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص ٣٤٧-٣٤٨ ؛ نواب، د/ عواطف بنت محمد بن يوسف: كتب رحلات المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين دراسة تحليلية نقدية مقارنة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م . ص ٣٦١-٣٦٢.

١٦ - ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م): السيرة النبوية لابن هشام، حققها وضبط شرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الكنوز الأدبية، د . ت، ج ٢، ق ٤، ص ٥٢٠ .

١٧ - باشا: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

١٨- العياشي: المدينة المنورة، ص ٢٢٤؛ رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٠-٤٤١.

١٩- المصدر السابق والجزء، ص ٤٤١-٤٤٢.

٢٠- جلبي: الرحلة الحجازية، ص ١٣٧؛ البتنوني: الرحلة الحجازية ، ص ٣١٥.

٢١- البخاري: صحيح البخاري، ج ٣، ص ٢٥١؛ الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٢٤٢، ٢٦٦، ٤٣٥، ٤٩٣,

٢٠- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/ ١٧٧٣م): تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الفكر، د.ت، ج ١، ص ٤٦٧.

٢٣ - القرآن الكريم: سورة النساء، آية ٢٠ .

٢٤- سعيد بن المسيب أبو محمد بن حزن القرشي المدني أحد فقهاء المدينة السبعة، توفى بالمدينة المنورة وأختلف في سنة وفاته مابين ٩٢- ١٠٥هـ/٧٢٣م. أنظر ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨١م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٢، ص ٣٧٥-٣٧٨. ترجمة رقم (٢٦٢) .

٢٥- كحالة، عمر رضا: أعلام النساء في عالمي الرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، ط ١٠، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ج، ١، ص ٣٤-٤١.

٢٦- الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية كانت تغزو مع النبي ﷺ فتداوي الجرحى وكانت من المبايعات تحت الشجرة بيعة الرضوان لها صحبة روى عنها أهل المدينة المنورة . أنظر ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار الفكر، د. ت، د . م . ج ٦، ص ١٠٧-١٠٨.

٢٧- البخاري: صحيح البخاري، ج ٣، ص ٢٥١.

٢٨- المصدر السابق والجزء، ص٢٥٣؛ كحالة: أعلام النساء، ج ١، ص ٢٦-٢٧ .

٢٩- البخاري: صحيح البخاري، ج ٣، ص ٢٥٢.

٣٠- المصدر السابق والجزء، ص ٢٥٣، ٢٥٥.

٣١- المصدر السابق والجزء، ص ٢٥٣.

٣٢- المصدر السابق والجزء، ص ٢٥٥.

٣٣- المصدر السابق والجزء، ص ٢٥٦.

٣٤- المصدر السابق والجزء، ص ٢٥٣.

٣٥- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٧٦.

٣٦- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني البلنسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م): تذكرة بالأخبار عن اتفاق الأسفار(رحلة ابن جبير)، دار صادر - بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.ص ١٧٩؛ نواب: الرحلات المغربية، ص ٢٥٨.

٣٧- أنظر في هذا الموضوع الجاسر، رسائل في تاريخ المدينة، الرياض- دار اليمامة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م. ص ١٤٩. وأغلب الظن أن ما عرف بمسي فئة النخاولة هم من بقايا أتباع هؤلاء.

٣٨- محمد بن قلاوون بن عبدالله الصالحي الملك الناصر ولد سنة ٦٨٤هـم١٢٨٥م. تولى الملك صغيراً له الكثير من الآثار العمرانية الضخمة بمصر والحجاز. توفى بالقاهرة عام ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م. أنظر ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م): الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عزالدين على، ط١. عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ج ٢، ص ١١٤-١١٧ .

٣٩- الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٤٩.

٤٠- جلبي: الرحلة الحجازية، ص ١٤٠.

٤١ - سادلير، ج . فورستر (كان حياً عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م): رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ م، ترجمة أنس الرفاعي، أشرف على طباعتها وحققها ونشرها سعود بن غانم الجمران العجمي، ط ٢، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م . ص ١٢٢ ؛ بيرتون، ريتشارد . ف (ت ١٢٧٠ هـ/١٨٥٣م): رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ترجمة وتحقيق د / عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥ م . ج ٢، ص ٩٨ .

٤٢- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن(ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عُني بطبعه ونشره أسعد طرابزوني . د.ت، ج ٣، ص ٣١٣ ؛ابن فهد، جار الله محمد بن عبدالعزيز بن النجم عمر(ت ٩٤٥هـ/ ١٥٤٧م): كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.ص ٦٧٩.

٤٣- الخياري: الحياة الاجتماعية، ص ١٩٤.

٤٤- العياشي: المدينة المنورة، ص ٢١٥-٢١٧.

٤٥- منلا، د/ مصطفى عمار: أجوبة خطب تسليم مهر عرض ودراسة، المدينة المنورة، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد١٧- ربيع الثاني - جمادالآخرة ١٤٢٧هـ/ مايو- يوليه ٢٠٠٦م. ص ٢٢٥-٢٢٦، ٢٣٠-٢٣١.

٤٦- الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٢١٩.

٤٧- رفعت: مرآة الحرمين ،ج ١، ص ٤٤٢. إن الحفلة التي تقام عند تسليم المهر تعرف اليوم بالشبكة.

٤٨ - الخياري: الحياة الاجتماعية، ص ١٩٦-٢٠٠.

٤٩- العياشي: المدينة المنورة ،ص ٢١٦-٢١٧.

٥٠- الخياري: الحياة الاجتماعية، ص ٢٠٠.

٥١- رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٢.

٥٢- الخياري: الحياة الاجتماعية، ص ١٩٣-٢٠٢.

٥٣- الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٤٨، ٤١٥، ٣٩٤، ٣٨.

٥٤- البخاري: صحيح البخاري، ج ٣، ص ٣٠٣.

٥٥- رفعت: مرآة الحرمين ،ج ١، ص ٤٤٥؛ بيومي، د/ محمد على فهيم: المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري / الثاني عشر الميلادي، دار القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م . القاهرة، ص ١٤٩.

٥٦- الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٢٩، ٢٩٣.

٥٧- بيومي: المغاربة في المدينة المنورة ،ص ١٤٩-١٥٠.

٥٨- البخاري: صحيح البخاري، ج ٣، ص٥٨ ؛ ج١، ص٢١٧، ٢٢٥.

٥٩- النخاولة هم من جنسيات متعددة عبيد ومن اليمن والمغرب ومصر والحجاز . ويقال أن أصل وجودهم بالمدينة المنورة كان بوجود القيشانيون القادمون من العراق المحملين بأموال عظيمة فصاروا يتألفون ضعاف الناس بالمال ويعلمونهم قواعد مذهب الإمامية ولم يزالوا كذلك حتى ظهر مذهبهم وكثروا ولم يكن من حكام مصر آنذاك من يلتفت إليهم بعد سقوط الدولة الفاطمية وانشغال الأيوبيون ومن بعدهم المماليك بحروب الصليبين . أنظر الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٤٩؛ الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٤٨٠.

٦٠- رفعت: مرآة الحرمين، ج١ ،ص ٤٤٣. وما يفعلونه خلاف السنة لما روي عن النبي صل الله عليه وسلم عندما أستشهد جعفر بن أبي طالب ﷺ فقل: (اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد أتاهم ما يشغلهم) . أنظر ابن ماجة، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م): سنن ابن ماجة، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر للطباعة . د. ت . ج١، ص ٥١٤. كتاب الجنائز .

٦١- القرآن الكريم: سورة النساء، آية ١٠؛الأنصاري: تحفة المحبين ،ص ٢٨٦، ٢٩٥، ١٥٣.

٦٢- الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٢-١٣، رفعت: مرآة الحرمين ج١، ص ٤٤٠؛ نواب: ملامح من الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة، ص ٣٩٧.

٦٣- ابن رشيد: ملء العيبة، ج ٥، ص ١٦؛ القيسي: أنس الساري، ص ٩٦ ؛ اليوسي، أبو عبد الله محمد بن أبي علي اليوسي (ت ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م): رحلة اليوسي، مخطوط في الخزانة العامة بالرباط، رقم ١٤١٨، ص ٩٣ / أ ؛ بيرتون: رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ج ٢، ص ١٣ .

٦٤- القيسي: أنس الساري، ص ٩٦؛ الرافعي، محمد بن علي (كان حياً عام ١١٢٥هـ / ١٦٩٥م): المعارج المرقية في الرحلة المشرقية، مخطوطة مكتوبة على آلة كاتبة في مكتبة الدكتور/ حسن الوراكلي، ص ٢٠٢؛ اليوسي: رحلة اليوسي، ص ٩٣/ب؛ البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ٣١٥؛ الردادي، عائض: الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري، الرياض، ط٢، ١٤١٣هـ.ص ٨٦.

٦٥- البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٣٤٣؛ الحسيني، الشريف محمد بن راضي: الشعر في المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري ،ط١، مطبوعات نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م؛ نواب، د/ عواطف بنت محمد بن يوسف: فتنة المدينة المنورة عام ١١٥٥هـ/١٧٤٢م في الشعر قصيدة البيتي نموذجاً . بحث لم ينشر، ص ٣ - ٤ .

٦٦- ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص ١٧٦؛ جلبي: الرحلة الحجازية، ص ١٣٥؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٤٣؛ رفعت: مرآة الحرمين،ج ١، ص ٤١٠؛ البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ٣٤٠.

٦٧- الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ٣٧ ؛ الخياري: الحياة الاجتماعية، ص ٩٦-١٠٠.

٦٨- جلبي: الرحلة الحجازية، ص ١٣٧؛ الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٣٨٨؛ رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص٤٠٧-٤١٠،٤٠٨؛ البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ٣٣٩.

٦٩- البلوي، خالد بن عيسى (ت ٧٨٠هـ/ ١٣٨٧م): تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق ومقدمة الحسن السائح، د.ت، د.م .ج١، ص ٣٣١ .

٧٠- العياشي: المدينة المنورة، ص ٢٢٦-٢٢٧؛ رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص ٤٤٠.

٧١- جلبي: الرحلة الحجازية، ص ١١٤؛ الأنصاري: تحفة المحبين، ص ١٣٤، ١١٦، ٢٩٣. وأنظر ترجمة الأسر التي استوطنت المدينة المنورة.

٧٢- العياشي: المدينة المنورة، ص ١٠٣، ٢٢٧؛ جلبي: الرحلة الحجازية، ص ١٤٦.

٧٣- يوسف، الحاج: رحلة جوزيف بتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة عبدالرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م. ص ٤٩ الأنصاري: تحفة المحبين، ص٢٨١؛ رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٥.

٧٤- رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٥.

٧٥- الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٤٦٠، ٤٧٨، ٣٠٧.

٧٦- جلبي: الرحلة الحجازية، ص ١٣٨- ١٤٠.

٧٧- المصدر السابق، ص ١٥٣، ١٥٥. الأنصاري: تحفة المحبين، ص ١٩٣، ٢١٥، ٢٣٩، ٢٥٦، ٢٧٤، ٣٢٣.

٧٨- ابن فهد، العز عبدالعزيز(٩٢٢هـ / ١٥١٦م): بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق عبدالرحمن بن حسين أبو الخيور رسالة ماجستير لم تنشر، مقدمة لجامعة أم القرى – كلية الشريعة – عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م . ج١، القسم ٣ ،ص ٩٥، ١١٧ ؛ جار الله: نيل المنى ،ج ١، ص ١١٤، ١٥٩، ١٢٢ ؛ الأنصاري: تحفة المحبين، ص ١٥١، ٢٣٣ن ٢٦٨، ٤٥٨، ٢٢، ٤٠، ٤١، ١٢١، ١٥٦، ١٥٠، ٤٢١، ٤٣٧.

٧٩ - البرزنجي، السيد جعفر بن حسن البرزنجي المدني (ت ١١٧٧ هـ / ١٧٦٣ م): النفح الفرنجي في الفتح " الجته جي "، مجلة العرب، ج ٥، ٦، س ١٢، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٧ هـ / تشرين الثاني وكانون الأول (نوفمبر / ديسمبر ١٩٧٧ م) . ص ٣٦٣

٨٠- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المكي (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) ك شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري، بيروت، ط١، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ج ١، ص٣٨٥-٣٨٧؛ الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ٣٥؛ الأنصاري: تحفة المحبين، ص ١٠٧، ١٦٠، ٤١٥، ١٧١، ٢٩٢، ١٦٤، ١٦٩، ٣٤٨، ٤٠٢، ٤٣٠.

٨١- الجاسر :رسائل في المدينة المنورة، ص ٧٣؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز ،ص ٣٥٣- ٣٥٤، ٣٦٥- ٣٦٦ ٣٧٠ ،٣٤٥ ؛ رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص ٤٤٤.

٨٢ – الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة المنورة، ص ٦٤-٦٥.

٨٣- النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٧٠.

٨٤- القرآن الكريم: سورة القدر، آية ٣.

٨٥- النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٧٣.

٨٦- المصدر السابق، ص ٣٧٩،٣٧٧.

٨٧- الآية التي وردت كتبت في الرحلة بطريقة خاطئة وتصحيحها ﴿ لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ﴾ القرآن الكريم: سورة الأنعام، آية ٨.

٨٨- القرآن الكريم: سورة الزمر، آية ٧٣.

٨٩- القرآن الكريم: سورة الفتح، آية ١-٣.

٩٠- دمج الرحالة آيتين في آية واحدة من سورتين مختلفتين وتصحيح ذلك ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ القرآن الكريم : سورة الأنبياء، آية ١٠٧؛﴿ سبحان ربك رب ...﴾ القرآن الكريم: سورة الصافات، آية ١٨٠-١٨٢.

٩١- القرآن الكريم: سورة الأحزاب، آية ٥٦.

٩٢- جلبي: الرحلة الحجازية، ص ١١٦؛ العياشي: المدينة المنورة، ص ٢١٠ ؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٤٥.

٩٣- العياشي: المدينة المنورة، ص ١٧٥، ٢١٠.

٩٤- الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص٧٥؛ العياشي: المدينة المنورة، ص ١٩٧-١٩٨؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٤٢٨، ٤٣٠-٤٣١؛ نواب: كتب رحلات المغرب الأقصى، ص ٤٣٩-٤٤٠.

٩٥- الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة المنورة، ص ٧٤-٧٥.

٩٦- رفعت: مرآة الحرمين ج ١، ص ٤٤٤.

٩٧- الزبادي: بلوغ المرام، ١٧٥؛ الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ٧٤؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٤٨؛ رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٢٧.

٩٨- النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٤٤- ٣٤٥.

٩٩- الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ٦٥؛ العياشي: المدينة المنورة، ص ٢٣٣-٢٣٤؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٧٣؛ رفعت: مرآة الحرمين ،ج ١، ص ٤٣٢.

١٠٠- البخاري: صحيح البخاري، ج١، ص ١٧٠ ؛ الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ٧٤، ٧٨ - ٧٩؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٧٩-٣٨٠؛ رفعت: مرآة الحرمين، ج، ص ٤٤٤.

١٠١- جلبي: الرحلة الحجازية، ص ١١٠، ١٣٧، ١٥٦-١٥٨؛ العياشي: المدينة المنورة، ص ١٩٧- ١٩٨؛ الأنصاري: تحفة المحبين، ص ٢٤٤، ٤٩٣.

١٠٢- الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٥، ٣٧، ٧٧-٧٨؛ العياشي: المدينة المنورة، ص ٢٣٨-٢٣٩؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٤٠٠-٤٠١، ٤٢٨، ٤٤٣ ؛ الأنصاري: تحفة المحبين، ص ١٠٧ ؛ رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص ٤٤٣.

١٠٣- البخاري: صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٠٦ ؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٤٠٢، ٣٨٩ - ٣٩٠ .

١٠٤- البخاري: صحيح البخاري، ج١، ص ٢٣٦ ؛ رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص ٤٤٣.

١٠٥- العياشي: المدينة المنورة، ص ١٧٥.

١٠٦- العياشي: المدينة المنورة، ص ٢٢٦-٢٢٧.

١٠٧- المصدر السابق، ١٠٣.

١٠٨- النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٧، ٣٦٠ .

١٠٩- رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص ٤٤٤.

١١٠- الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ٦٥ ؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٤٣٦ ؛ رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص ٤٤٤.

١١١- ابن رشيد: ملء العيبة، ج ٥، ص ١٦ ؛ جلبي: الرحلة الحجازية، ص ١٠٨- ١١٠، ١١٢، ١٣٧؛ الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ٧٩ ؛ القيسي: أنس الساري، ص ٩٦ ؛ اليوسي: رحلة اليوسي، ص ٩٣أ ؛ الدرعي، ابن عبد السلام (ت ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م): ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي، عرض وتلخيص حمد الجاسر، دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م . د . م . ص ١٥٦ .

١١٢- جلبي: الرحلة الحجازية، ص ١٣٧ ؛ البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ٣٤٠ .

١١٣- جلبي: الرحلة الحجازية، ص ١٤١ -١٤٣.

١١٤- المصدر السابق، ص ١٢٨ - ١٣٠، ١٦١ .

١١٥- العياشي: المدينة المنورة، ص ١٠١ – ١٠٢؛ الزبادي: بلوغ المرام، ص ١٦٩، ١٨٣ ؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٤٧٩ .

١١٦- رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص ٤٤٣.

١١٧- الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة المنورة، ص ٧٧- ٧٨.

١١٨- المصدر السابق، ص ٧٧، ٦٤ .

١١٩- المصدر السابق، ص ١٥ ،١٩، ٢٩ .

١٢٠ العياشي: المدينة المنورة، ص ٢٢٥ .

١٢١- المصدر السابق، ص ١٩٧.

١٢٢- ابن فهد: نيل المنى، ج١، ص ٣٢٨، ٣٥٣؛ العياشي: المدينة المنورة، ص ٢٢٩- ٢٣٠.

١٢٣- الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ٨- ٩، ١٣٩ – ١٤٠ .

١٢٤- ذكر النابلسي أن الشريف سعد بن زيد خرج لتأديب قبائل حرب الذين مجموعتين، وفروا من أمامه بدون محاربة . أنظر النابلسي : الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٩، ٣٦٧، ٣٧٤.

١٢٥- الأنصاري: تحفة المحبين، ص ١٦، ١٨، ٤٨، ١٠٥، ١١٢، ١٢١، ١٦١، ٢٢٤، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٤، ٣٧٠، ٤٤٠، ٥٠٧.